الرسول.. وتعدد الزوجات

بادئ ذى بدء لنا تعليق على هذا المقال الذى كتبه والدى فى ستينيات القرن الماضى يتحصل فى أن بعض المستشرقين وبدافع من الجهل الذى تردوا فيه، إذ لم يكلفوا أنفسهم الفهم الصحيح الدقيق لما يقرأون من آيات كتاب الله، فوصموا أنفسهم بوصمة الغباء اللغوى فضلا عن سقم الفهم، وعلى سبيل المثال فقد ترجم أحدهم الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة النبأ – الآية ١٠] ففسرها بجهله أن الله قد جعل الليل.. «كلوتا»؟!!.

وبغريزة الجهل هذه المتأصلة فى بعضهم ترجم كلمة (حافين) التى جاءت فى الآية الكريمة «وترى الملائكة حافين حول العرش» إلى (حافيين) أى حفاة؟!!.

قال الوالد – رحمه الله – فى مقاله هذا:

١ – خلوت إلى نفسى أفكر فيما كتبه بعض كتاب الغرب بشأن صلة الرسول (صلى عليه وسلم) بالمرأة وكيف تعددت فى حياته، وفيما أثاروه حول زواجه من زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة الذى تبناه محمد وأعتقه. منتهزين رواية خاطئة وردت بحسن نية فى بعض كتب السيرة والتفسير، ويواليتهم وقفوا عند حدها. بل راحوا ينسجون عليها الكثير من أوهام الخيال، ولو أخذوا أنفسهم بشئ من أمانة البحث لتغير وجه الرأى.

٢ – مفاد هذه الرواية أنه (صلى الله عليه وسلم) حينما مر بمنزل زيد يطلبه، فخرجت إليه زينب فرآها فوقع منها فى قلبه شئ لجمالها فانصرف لساعته قائلا: سبحان مقلب القلوب. ولما أبلغت زيدا ما سمعت ذهب إلى النبى وكرر استعداده لتسريحها فرفض، وقال: أمسك عليك زوجك واتق الله. ولكن زينب لم تحسن من بعد عشرته فطلقها حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الأحزاب – الآية ٣٧].. وبمقتضى هذه الآية الكريمة وبصريح النص زوجه الله منها إبطالا لعادة (التبنى) وإلغاء لجميع آثاره.

٣ – ويعلق كتاب السيرة على ما نسب إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) من أنه وقع منها فى قلبه شئ لجمالها وفى قوله: سبحان مقلب القلوب، بأن هذه القصة مكذوبة

ويكفى لهدمها من أساسها أن تعلم أن زينب بنت جحش هى ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمة رسـول الله ـ عليه السـلام – وأنها ربيت بعينه وعنايته وأنها كانت منه بمقام البنت أو الأخت الصغيرة، وأنه كان يعرفها قبل أن تتزوج زيدا وأنه شهدها فى نموها تحبو من الطفولـة إلى الصبا إلى الشـباب، وأنه هو الذى خطبها على زيـد، إذا عرفت ذلك تداعى أمـام نظرك كل هذه الخيالات والأقاصيص، وأما عن زواجه منها فالتاريخ الصحيح يحكم بـأن زواج زينب من مفاخر محمد فقد جعل نفسـه أول من يضـرب المثل لما يضع الله من تشـريع يمحـو به تقاليد الجاهلية وعاداتها، ويقر هـذا النظام الجديد (الدكتور هيكل ص ٢٨٧ وما بعدها).

٤ – وجدير بالذكر أن المستشـرق أميل درمنغم بالرغم من عدم توفيقه فى سرد الموضوع انتهـى إلى أن هـذا الزواج جاء تنفيذا (لأمر الله بشـأن) (التبنى)، ولم يكن نتيجة ميل جنسى. يقول: وفى هذا الذى انتهى إليه ما يدحض روايته التى انساق فيها

Ie marriage avec Zeinab sanction d'un decret divin Sur les régles Juridiques de l'adoption.. est done toute autre chose que le fruit d'une quelconque passion sensuelle sarvie par l'imposture. Emile dormenghem P.303 cha. XLX.

٥ – نعـود بعـد ذلك إلى ما لاكه هؤلاء الكتاب حول تعدد الزوجات ؟ وكمسـألة أولية نلفـت النظر إلى ما هو ثابت فى كتب السـيرة والتفسـير من أن آيـات التحريم نزلت فى أخريات السـنة الثامنة للهجرة بعد أن كان النبى (صلى الله عليه وسـلم) بأزواجه جميعا. وقد كان التعدد إلى حين نزولها لا حد له مما يسقط القول بأن محمدا أباح لنفسه ما حرمه على الناس..

ثـم إن محمـدا تزوج خديجة وكانت فى الأربعين من عمرها وهو فى سـنة الخامسـة والعشرين، ولم يشرك أحدا معها غيرها مدى ثمان وعشرين سنة. ولم يبدأ زيجاته الأخرى إلا بعد أن تجاوز سـن الخمسـين، والمعروف فى الأوسـاط العلمية بأنه فى سـن الخامسة والأربعين عادة يبدأ غروب شمس الغريزة الجنسية فتقل حدتها (الدكتور عبد العزيز عزب قانون جديد لتطور الزواج ص ٣٤) وهذا إلى انشـغاله (صلعم) بنشـر رسـالة ينوء بحملها البشـر إستلزمت منه كفاحا مرا وجهادا مسـتمرا وخوض حروب مستمرة حتى خلق دولة

من العدم بكل مقوماتها الدينية والتشريعية والسياسية، وما قال أحد إنه شغل بنسائه عن القيام. بواجبات رسالته المقدسة. بل إنه خير نساءه عندما ارتفعت شكواهن من ضيق ذات اليد بين الطلاق وبين الله ورسوله والدار الآخرة، وإذا كان الأمر على هذا الوجه فهل بقى لهم شئ مما يدعون؟!.

٦ – وأكثر من هذا أن حكمة زواجه معروفة حتى من أشد المستشرقين تحاملا عليه مما يبعد قطعا مظنة العامل الجنسى انظر إلى مارغليوث حيث نجتزىء فيما يقول:

Mohammed' Snumereus marriages.. have been attributed by many European Writes to gross Passion.... Several of his Allan – ces Were political in character.... While a political sort motive is to be found in his alliances with the daughter of political opponents or talent enemies.. the remainder are to be explained by his extreme anxiety to have a son (Mohamed and the rise of Islam. Ch. VP. 176).

وبيان ذلك أن كثيرا من الكتاب الأوروبيين نسبوا تعدد زوجات محمد إلى شدة الميل الجنسى ولكن ظهر أن كثيرا من مصاهراته كان سياسيا أو كان بغرض ارتباكه من نوع آخر من بنات معارضيه أو أعدائه أو بغية أن يكون له ولد ذكر.

ولنا تعليق أخير على هذا أن هذا المقال: أولئك الذين أخذوا على النبى «محمد» – عليه الصلاة والسلام – أنه عدد زوجاته تحت وطأة الميل الجنسى. ألم يسألوا أنفسهم بماذا إذن يسمى زواج نبى الله «سليمان» بألف إمرأة كما ورد فى التوارة (سفر الملوك الأول ٣: ١١)؟!.

❑❑❑

مهزلة الرفق بالحيوان.. لدى الغرب ؟

عالم الحيوان كما يذهب العلماء ينقسم إلى عوامل خمسة (البدائيات، والطلائعيات، والفطر، والنبات، والحيوان).

والحيوان كما جاء فى «المعجم الوجيز» هو كل ذى روح، ناطقا كان أو غير ناطق ويعرف أيضا أنه: كائن حى يمتاز بالحياة والحس، متحرك بالإرادة وأنه كل ما يختص بالنفس الحيوانية، بخلاف الإنسان الذى يختص بالنفس الناطقة، وغير الإنسان من الحيوانات يسمى بالحيوان الأعجم كما جاء فى قاموس محيط المحيط.

ويُعرَّف الحيوان علميا: بأنه تجميع متكامل من أجزاء تركيبية، وأجهزة تؤدى العمليات الفسيولوجية المختلفة الضرورية للحياة، ولقد ذكر الله فى كتابه الكريم – تصنيف الحيوان وأقسامه – فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة النور– الآية ٤٥].

قد كرم الله الحيوان فسمى سورا كاملة بأسماء بعض الحيوانات وكذلك الحشرات مثل: سورة البقرة، سورة الأنعام، وسورة الفيل، وسورة النمل، وسورة النحل، وسورة العنكبوت.

قد أوصى الرسول – عليه السلام – بالحيوان فقال لأصحابه: «عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض».

وعندما قُدم رجل على رسول الله فقال له: «إن لأرحم الشاة أن أذبحها. فقال الرسول له: إن رحمتها رحمك الله».

فقد شاهد عمر بن الخطاب رجلا يجر شاة ليذبحها. فضربه بالدرة وقال له: «سقها إلى الموت سوقا جميلا.. لا أم لك».

استنكرت جمعية الرفق بالحيوان الأمريكية قيام العلماء الروس بإرسالهم كلبا إلى الفضاء.. وقال رئيس الجمعية: إن احتجاجا شديد اللهجة سيسلم لروسيا عن طريق وزارة الخارجية استنكارا لهذه الفعلية الشنعاء التى أقدم عليها السوفييت!!!.

أما فى إنجلترا وفرنسا فقد التاعت منهم القلوب، وأطلقوا على أنفسهم اسم «أصدقاء الكلاب».. ووقفوا دقيقة صمت احتجاجا على وضع كلب فى القمر الروسى الثانى الذى أطلق منذ أيام، وقد وصفوه بأنه عمل وحشى مجاف للإنسانية!!.

وبلغ بهم الأمر إلى أنهم أنشأوا جامعة للكلاب!! عجبا!.. إذا كان فى إنجلترا وفرنسا أناس بمثل هذه الضمائر الحية.. والنفوس الحساسة التى تشفق على الحيوان وتتألم له.

فلماذا لا يوجد فى هذه البلاد من يشفق على الإنسان، ويتألم له؟!..

لماذا لا يوجد فيها من يشفق على الإنسان الذى يراق دمه كل يوم فى الجزائر فى أقذر حرب عرفتها البشرية؟!.

لماذا لايوجد فيها من يشفق على الإنسان الذى ضرب ومازال يضرب كل يوم بالقنابل والصواريخ المميتة، وعلى أيديهم فى فلسطين، وفى غيرها من البلدان؟!.

لماذا لا يوجد فيها من يشفق على الإنسان الذى يتعذب، ويتعرض كل يوم للفناء والدمار نتيجة لأطماع المستعمرين.. وأعمالهم التى تخرج عن الضمير وتنافى المبادئ التى نادت بها جميع الأديان؟!.

كفى هزلا يا سادة!.. وإذا أردتم أن تكونوا إنسانيين حقا فكونوا أصدقاء لأخيكم الإنسان.. قبل أن تكونوا أصدقاء للكلاب، والحيوانات!!.

فقد زين لكم الشيطان أعمالكم فصدكم عن السبيل فأصبحتم لا تهتدون.

❑❑❑

الرقص على البارود.. ؟

يقول صاحب كتاب – الرقص على البارود – رحمه الله.

بعض الناس يبحث فى الأرض عن الذهب. والبعض الأخر يبحث عن التعب.

والذى لا شك فيه أن رئيس وزراء إسرائيل ومنذ أن ولى حكم إسرائيل وهو يبحث (جاهداً) عن التعب؟!.

«نتانياهو» لا يكل ولا يمل، منذ أن سربته النسبة الضئيلة التى رجحت كفته فى الانتخابات الإسرائيلية، لإدارة دفة الحكم فيها. فى أن يجعل بلده والمنطقة المحيطة به. بل والعالم برمته يعيش فى قلق، ويحيا فى ضجر، من جراء سياسته الطائشة التى يتبعها تجاه فلسطين، وسوريا، وجنوب لبنان والتى قوامها التسلط والكبرياء، وصم الأذنين عن سماع كلمة الحق التى هى كلمة الله، وبشارة الأنبياء.

إنه لا يستمع إلى نصيحة تزجى، ولا إلى كلمة حق تلقى عليه، فهو يحثو التراب فى وجوه المخلصين من ناصحيه والصادقين من محذريه من مغبة سياسته الخرقاء التى لن تجدى قتيلا، إلا فى جر الويلات إلى إسرائيل نفسها قبل غيرها.. وقديما ألقى اليهود بالنبى «أرميا» إلى التراب لأنه أنبأ الناس بسقوط «أورشليم».. وقالوا فى تعليل ذلك أن هذا الرجل لا يبشر إيانا بخير، فهو علينا وليس منا.

وكذلك يفعل نتانياهو بكل من يخبره بعواقب غطرسته وتعنته وإصراره على استلاب حق الغير، فهو جد سعيد بأن يجد العالم كله يرتجف من جراء حمق سياسته وغباء تفكيره وفعلته.

تقول صاحبة كتاب «البحث عن المتاعب»:

إن «هتلر» كان يطربه ويشجيه أن يرى العالم يرتجف أمامه وقد كان بحاجة إلى (الإثارة) حاجته إلى الطعام والشراب.

فهل لنا أن نقول إن نتانياهو كسلفه الأخر يبحث عما يثير.. دون ما نظر إلى (ماكان) مع سلفه الشقى العنيد؟!.

إن نتانياهو يرفض التفاوض حول القدس الشريف ويصر على بناء المستوطنات، ويأبى الجلاء عن هضبة الجولان ويمعن فى ضرب جنوب لبنان، ويدوس على اتفاقية (أوسلو)

رافضـــا مبدأ الأرض مقابل الســـلام.. فهو لا يعبأ بخصومة أووئام يلـــوذ بالمناورة ويلجأ إلى المراوغة ويعتنق سياسة اللف والدوران.

ونحن نقول لك:

الزم بيتك يارجل واترك السياسة لمن له فيها باع قبل أن تباع؟!.

❑❑❑

obeikandl.com

السبت الدامى.. وضرورة القبض على الجانى

بلغ السيل الزبى.. وراجت الجريمة لإدبار الدولة وضياع هيبتها، افترس طائر حلم ثورة يناير الجميل. فلقد ذهب الخب «بأولاد الأفاعى» كما وصفهم «السيد المسيح عليه السلام»، بعقولهم وجلبوا لوطنهم الويل والثبور وعظائم الأمور، وخلفوا وراء ظهرانيهم، لهم، ولها العار والشنار، وسوف يجعلهم الله سبحانه وتعالى «سلفا ومثلاً» للآخرين. زرعوا لواعج الحزن للآباء والأمهات الذين فجعوا فى فلذات أكبادهم، على يد هذه العصبة الخائنة الجبانة، وبعد الأحبولة التى نصبوها لاصطياد الحياة، فماذا يجدى الأمل مع موت هؤلاء الشهداء؟.. وماذا يجدى الأمل فيمن فقد وحيده وفجع فيه، والكل يرثيه؟ لقد أودت الدنيا بكل آماله وغابت مطامحه ومطامعه؟.. وماذا يجدى الأمل مكفوفا فقد بصره إلى حيث لا يرده عليه طب ولا مال، فى الحال أو فى المآل؟.

الوطن برمته تائه كأنه قوم موسى فى الليلة الليلاء تُركت الساحة على اتساع رقعتها لفئة ضالة آثمة هبطت على البلاد فأقضت مضاجع العباد، وكانت مهبط أذى أصبح يختال ويغتال، فقد أمست الأرض بلقعا يمرح فيها بفسقه كل شيطان مريد، ولسان حاله يقول: «هل من مزيد؟». واقتلعت العاصفة الهوجاء أمامها الأبرياء، تاركة لذويهم الحزن والأسى والدموع التى هى كدموع الخنساء. وهل أعاد البكاء الذى ذرفه ملوك الطوائف على جدران قصر الحمراء الأندلس، إلى أصحابها الفرقاء؟. إن أوهن الأشياء هو قتل الضعفاء بشريعة الحمقى الأغبياء. فمن – ذا – الذى يمسح دموع الأم الثكلى التى أطلت بوجهها علينا من خلال – التلفاز –، والهم يملأ مقلتيها، والغم يحفر وجنتيها، وهى التى فجعت فى ابنها تصرخ وتولول: ليتهم أعجزوه.. ولم يقتلوه.. ليت الموت أبقاه؟.

يقول «كعب الأحبار التابعى» مثل الإسلام السلطان. والناس مثل الفسطاط، والعمود والأوتاد، والفسطاط هو الإسلام، والعمود هو السلطان، والأوتاد هم العباد ولا يستقيم بعضها إلا ببعض. أما الإسلام فهل أباح الغدر والخيانة وقتل العزل الأبرياء؟. وأما السلطان فهو من بشاعة جرمهم حيران، وأما العباد، فقد تركوا العتاد ثقة فيما قيل لهم عن الأمن والأمان.

والسؤال: من ذلك الذى امتشق سلاح الغدر يوجهه إلى القلوب، ويصوبه إلى العيون بكل خفة ومجون؟!

إن دم الشهداء الأبرياء تطالب السلطان بجدة البحث عن هذه الوحوش الكاسرة التى شريعتهم هى شريعة الغاب، أرادت لمصر الخراب واليباب؟ القول بأن ثمة طرفا آخرا ليس من الشرطة وليس من الجيش والجانى فإننا نربأ بأنفسنا على مد أصابع الاتهام إلى أحدهما أو كلاهما، فهما أشرف من أن تلطخ أيديهم بدم المصريين الخلصاء، وأما عن ذلك القول بوجود طرف ثالث: هو الآثم الجانى فهو لايسمن ولا يغنى من جوع.

إن حد الله يجب أن يطبق على هذا المجرم العتيد الذى ينتظره مصيره الفاجع، فهو لما يزل يمرح بيننا هو وأترابه من الملاعين الذى يقبعون فى بيوتنا يلتمسون الملاذ والنجاة، فهيهات هيهات أن يفلتوا من جرمهم، فإن ربك لهم بالمرصاد، ولن يهدأ الموتى الشهداء فى أرماسهم إلا بعد إنزال صارم العقاب عليهم، فقد طرفت الدنيا عيونهم، وسدت مسامعهم الشهوات ،هم من تبعهم من الأغوات.. ومن لم يتعظ بالقرآن يأتى بالسلطان.

وإلى من أصبحوا لمصر سادة، وعنها زادة.. أسوق إليكم قول الشاعر اليمنى (الأودى):

لا يُصلح الناس فوضى لا سَراة لهم ولا سَراة إذا جُهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلا له عمد ولا عماد إذا لم تُرس أوتاد

إن السبت الدامى يوجب عليكم القبض على الجانى.. فهل أنتم فاعلون؟.. إنا لمنتظرون.

❑❑❑

الشعب الذى يفرط فى كرامته.. تضيع هيبته؟! ..

نعم هى سيف بتار .. على رقاب المصريين الأحرار! لا جَرَم تفله أمريكا على كل طالب معونة.. أو حتى من يرغب فى أيقونة!.

كان شيكسبير يقول: «أخذت منى نقودى.. لم تأخذ منى شيئا.. أخذت كرامتى.. أخذت كل شئ» انحرفت أمريكا عن مقولة شكسبير أو «آبدته» «والآبدة هى الكلمة التى تذهب فى أسماع الزمن مذهب الخلود»، وأرتأت أمريكا بل انتهجت نهجا اعتمل فى قلبها، وأصبح من علامات فكرها يتحصل فى أن من يأخذ منها دولارا فلا محيص له ولا معدى له، بعد أن أصبحت هى تابعا أن يكون هو – كذلك – متبوعا لها، يترسم خطاها، ويسير على هداها، بل ولا مانع لديها أن تمتطى صهوة ظهره تسوقه أنى تريد وكما عن لها أن تستفيد، وإلا فهو بعد أن تحصل منها على «ذهب المعز» فإن «سيف المعز» يظل مصلتا على عنقه. صحيح أن الشعب الأمريكى شعبا طيبا ودودا متدينا.. وصحيح أن أمريكا أسدت للحضارة الغربية مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة منذ زمان بعيد يوم أن أقرت اللائحة التنفيذية لولاية فيرجينيا عام ١٧٧٧ والتى أبت أن تحدد فيها دينا رسميا للولايات المتحدة الأمريكية مما دفع الرئيس الأمريكى «توماس جيفريسون» أن يقول: «إن التعديل الدستورى الأول لبلاده عام ١٨٠١ قد نجح فى أن يفصم العرى بين الدين والدولة وبحائط صلد صلب ولم يحل هذا من أن تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية بعض الرموز الدينية ومنها ما طبع على عملتها (الله نثق)، وأسفل علمها «بأمر الله». واستمر الزمن فى دورته وبعد أن كانت الدولة العثمانية ملء السمع والبصر أمست رجل «أوروبا المريض» كما وصفها المؤرخون، وبمقتضى معاهدة ١٨٥٣ فقد أصبح لها حق رعاية سلطانها من المسيحيين الأرثوذكس، ثم جاء الاتفاق الودى الثلاثى بين بريطانيا وفرنسا والنمسا من جهة، ومن جهة أخرى بين الدولة العثمانية على ما سمى بالخط «الهمايونى» الذى أعطى الدول المتعاهدة حق رعاية المسيحيين فى الدولة العثمانية؟.

وبعد أن تفككت أوصال الاتحاد السوفيتى وقد كان يقاسم أمريكا قيادة الأنظمة العالمية أضحت أمريكا هى بؤرة العالم والقطب الأوحد فيه، دون منازع أو شريك، ومثل كل

حضارة من حضارات العالم القديم التى سادت ثم بادت استبد الغرور بأمريكا ومشت على درب نظام دول الاستعمار القديم واعتنقت «مبدأ من ليس معنا فهو علينا» وأمعنت نظرها وأعملت فكرها فى كيفية الهيمنة على دول العالم برمتها، فاستنت قانون (يزمون هليمز) الذى أطبقت يدها من خلاله على كوبا مشددة الحصار عليها وأنزلت من رحمها قانون «داماتو» الذى فرض عقوبات على كل من (إيران، وليبيا) لخروجهما عن الخط الأمريكى ثم أنزلت جنينها الثالث: (ثالثة الأثافى) متمثلا فى قانون الحماية الدينية تحت مسمى «الاضطهاد الدينى» والذى أشرف عليه عضو الكونجرس الأمريكى (ليبرمان) وكونت من ثناياه لجنة خاصة، نسميها نحن (لجنة الأشقياء) كما وصف الزعيم «سعد زغلول» «لجنة ملنر»، أصبحت مهمتها بلغة النيابة العامة موالاة البحث والتحرى لمعرفة الفاعل: أى فاعل؟!.. هو ذلك الذى يخرج من نطاقها من الدول، بما أسمته «بالحرية الدينية» وعلى تلك اللجنة المذكورة أن تبحث وتنقب عن ذلك الفاعل (المجهول)؟.. (والمعلوم) سلفا لدى أمريكا! والذى يضبط منها متلبسا مرتكبا جريمة الإضطهاد الدينى حتى ولو كانت هذه الجريمة لا تقوم على أساس أو أدلة أو مضامين أو براهين، وحتى لو كان ذلك هو التدخل بعينه فى الشأن الداخلى لأية أمة من الأمم ومن بينها – بداهة – مصر – والتى أسمت أمريكا المسيحيين فيها (بالأقلية المغلوبة على أمرها) مما دعا قائد الوطنية المسيحية فى مصر «البابا شنودة الثالث» – شفاه الله وعافاه – إلى أن يجأر بملء فمه: «لايجب أبدا أن يطلق علينا أقلية لأننا جزء من النسيج الوطنى المصرى». وقد تناست أمريكا الوضع القائم على أرضها والذى جسم التفرقة العنصرية الصارخة بين أبناء الوطن الواحد ببناء كنيستين على أرضها أحداهما سوداء، والأخرى بيضاء!، ناهيك عن التفرقة العنصرية التى عاشت على أديمها، وسودت تاريخها، عقودا طويلة ضربت فى الزمان والمكان، وراح بسبب منهاضته لها – مع الألوف من الزنوج –، الدكتور «مارتن لوثر كينج» بعد أن أودى بحياته رَصَاص البيض، وذلك فضلاً عما ارتكبته من مجازر فى حق الهنود الحمر، وقد كان ذلك محل – مقال لنا – فى هذه الصفحة الغراء، وقد كان منهم، بما لم نذكره فى مقالنا هذا، قادة الهنود الحمر العظام، «السحابة الحمراء» و«يوتابكا» و«كوانا باركر» والزعيم «جرينوبو» والذى قبض الجيش الأمريكى عليه دون جريرة ارتكبها سوى الدفاع عن أرض أجداده الأوائل وسيق مكبلا بالسلاسل حتى مات مصابا بالسل فى محبسه، ثم جاءت

معركة «نهر البرعوم» لتكون النهاية القاسمة للهنود الحمر أصحاب أمريكا الأصليين.. ولم تقم قائمة لهم بعدها.

وما برحت أمريكا تلعب بالدولار، وبالمعونة الأمريكية، تشمخ بها وتتعالى على حريات الشعوب، مع أن هذه المعونة لا تغنى ولا تسمن من جوع فقد أفادت دراسة قام بها مكتب «الإنفاق الحكومى» التابع للكونجرس الأمريكى بأن المساعدة الأمريكية لمصر تساعد تماما فى تثبيت الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية فى المنطقة العربية.

وقد أزمعت أمريكا أن تشد مصر إلى بحر الظلمات وتنجرف بها إلى الهاوية.. وإلا فما معنى هذا المشروع الجهنمى الذى تفتق عنه ذهن ثلاثمائة من زبانيتها أو بالأحرى شياطينها، والذى دعوا فيه لإصلاح حال التعليم فى مصر، وذلك بإلغاء الحروف العربية وتطبيق الاتجاهات اللاتينية «Hisponization»، وما يستتبع ذلك – بداهةً – بإلغاء المناهج القومية القائمة بما فيها المبادئ الدينية المستقرة فى وجدان المصريين .. هل هى المعونة الأمريكية التى دفعتهم إلى هذا.. أم ماذا؟

يقول السيد المسيح عليه السلام – لليهود – «أنا هو الخير الذى نزل من السماء» (يو ٦: ٤١)، وتقول أمريكا: «إنما أنا الدولار الذى ينزل عليكم كما ينزل الغيث من السماء»، «ولا يتناطح فى ذلك عنزان»! كما عبر «مارجريسيا ماركيز» الفائز بجائزة نوبل للأدب، فقد أصبح الدولار الأمريكى مثل الدينار البرمكى، ودينار الأمبراطور فوكاس، وكذلك دينار هرقل؟! يجب أن يدخل التاريخ! ولسان حال أمريكا يقول فى هذا الصدد: «ويُظلم وجه الأرض فى أعين الورى: بلا «شمس» دينار «ولا بدر» درهم؟!

فأمريكا عندما يخرج منها الدولار تعتنق قول الشاعر (ابن النضر):

لا يألف الدرهم الضَّياحُ صُرَّتنا لكن يفِر منها وهو منطلق

هذه هى الإدارة الأمريكية التى قر قرارها على أن تهيمن على شعوب العالم «بدولاراتها».. هذه الإدارة التى يجب أن تعى تماما أن المعونة الأمريكية إما إنها شراكة بين مصر وبين دولتهم.. شراكة على قدم المساواه، وإلا فمن الحتمى مع تاريخ مصر وثورتها أن تُلقى هذه المعونة على قارعة الطريق..

لا تدفعونا يا من تديرون دفة الحكم فى بلادكم أن نقول لكم كما قال لكم أيضا «Michael Rowbotham» فى كتابه (Goodbye America).. وداعا أمريكا.

الصحراء الغربية.. والحدائق الشيطانية؟!..

نشـرت الصحف أن كشـفا بتروليا مهما للغاز بالصحراء الغربية قوامه ١٢ مليون قدم وخمسة ألاف برميل إنتاجا يوميا قد توصل العلماء إليه.

وصرح المهندس عبد الله غراب وزير البترول والثروة المعدنية التزام قطاع البترول بتحقيق الأهداف والمصالح العليا للدولة بالعمل على سرعة برامج الحفر المكثفة لسرعة تنمية الحقول المكتشفة.

والصحراء الغربية تتميز باتساعها الشديد فمساحتها ٦٨ ٪ من مساحة مصر ويوجد بها مناطق جمة غير مأهولة وذلك لانتشـار حقول الألغام على مسـاحة كبيرة من هذه الصحراء بما يطلق عليها حدائق الشيطان.

وحدائق الشيطان هى هاتيك الألغام التى زرعت فى الصحراء الغربية أثناء وبعد معركة العلمـين – بـين القوات الألمانية والإيطالية بقيادة الجنـرال أرفن روميل من ناحية، وبين قوات الحلفاء بقيادة الجنرال مونتجمرى، من ناحية أخرى، وكان ذلك خلال وبعد معركة العلمـين ولما تزل هاتيـك الألغام مطمورة فى أديم مصر فى جـوف الصحراء الغربية تلظى بنارها من تسول له نفسه، ارتيادها.

وهـا هى ذى الأخبار تترى أن الأمم المتحدة قد حذرت من ارتفاع عدد ضحايا الألغام، والمخلفات الأرضية فى مصر خلال الشـهور الخمسة عشر من العام قبل المنصرمة، وأردف تقرير الأمم المتحدة قائلا: إن عدد ضحايا الألغام بلغ خلال هذه الفترة عددا لا بأس به من القتلى ناهيك عن العديد من الجرحى. وأكد التقرير ارتفاع نسـبة الإصابات بين المصريين بنسبة تعدت الخمسين فى المائة.

ومـن الثابت علميا أن حوالى العشـرين بالمائة من الألغام الموجودة على مسـتوى العالم تتركـز فى مصـر حيث تعد مصر ثانى أكـبر دولة مليئة بالألغام على مسـتوى العالم بعد أنجولا، مما يعنى أن أكبر دولتين مزروعتين بالألغام، توجدان فى قارة أفريقيا.

ولا مشاحة أن مأساة الألغام تعتبر أسوأ وأطول مأساة عاصرت أحداثها الحرب العالمية الثانيـة وقـد أطلت على مصر بوجهها القمئ فى خضم المعـارك العاتية التى دارت رحاها

بـين قوات الحلفاء، والمحور، وأشـهرها (معركة العلمـين الكبرى) وهى كذلك – الأخطر – لأنه منذ زراعتها فى مصر وهى تحصد أرواح المصريين الأبرياء المرة تلو المرة، مع تعاقب السنين، وكر الأيام فى أبشع جريمة ضد الإنسانية ناهيك عن أنها قد أدت إلى حرمان مصر من خيرات أرضها التى تموج بها هذه المنطقة من ديارها إذ أنها تزخر بالثروات الطبيعية والبترولية، والإمكانات الزراعيـة، فضلا عن الأثرية والسـياحية، بالإضافة إلى النهضة العمرانية التى طال انتظارنا لها وهى تفتح ذراعيها للمصريين.

أما الخسـائر الاقتصادية التى نجمت جـراء ذلك، فحدث ولا حرج. فمنطقة العلمين، وتخومهـا، تحتـوى على حوالى مليون وربع مليون فدانا مـن الأراضى الصالحة للزراعة.. وهـى مليئة بالميـاه الجوفية، وأرضها من أجود وأخصب الأراضـى الصحراوية لقربها من وادى النيـل.. وقد وصفها الخـبراء الثقات بأنها – تبدو – وكما تيقن لهم «كباخرة عائمة فى حوض من الذهب الأسود .. البترول».

والـذى لامرية فيه – إن جريمة بث الألغام، ودسـها فـى أعماق أرض مصرية – وهى الصحـراء الغربيـة – كانت من (صـروف الدهر) – (ولا يعاند الدهـر إلا كل ذى خطر)، ومسـئول عنها كل من اقترفها فى حق مصر إذ وضع بقعة غالية من تراب هذا الوطن فى برزخ من الآلام، وقد زلقت بها أرجل الدول الثلاث: ألمانيا وإيطاليا، وإنجلترا وكما ألمعنا من خلال جحافل قوادها، وجنودها الذين جاسـوا خلال أرض مصر – إثر حرب ضروس بينهـم لم يكن لمصر فيها (ناقة ولا جمـل).. وقد باتت تحكم على أرض الكنانة أطرافها، وتستر فخاخها حتى لم يبق مع وجودها فى قوس الصبر منزع؟!.

ولقـد كشـفت الدكتور إيمان غنيم مديرة معمل أبحاث الفضـاء بجامعة نورث كارولينا الأمريكية من أن المياه المنهمرة والتى هطلت على صحراء مصر الغربية منذ عشرات السنين قد حفرت بئرا يسـمى «بئر كيفرا» كون امتدادا لخزان جوفى كبير قابع أسفل بحر الرمال الأعظـم موضحة أن هذه المياه هى «تسـريبات» لمر مائى عمـلاق مدفون فى باطن الأرض المصريـة وتمثـل ممرا هائلا من الميـاه الجوفية مطمورة تحت الرمـال. وهذا معروف لدى غالبيـة علماء الرصد الفضائى والجيولوجيا لأنه من الثابت علميا أن أى نهر يجف لعوامل التغيرات المناخية والزمن يتجمع أسفله خزان جوفى، يتوقف حجمه على طبيعة الصخور والأرض الموجود بها مؤكدة أن طبيعة أراضى المنطقة المحيطة بهذا الممر تتكون من صخور حجر الرمل النوبى المعروفة بمساميتها الشديدة .

وأضافت الدكتورة الباحثة أن رصد هذا المر استغرق أكثر من عشر سنوات من العمل بالأقمار الاصطناعية الرادارية، التى تمكن من مشاهدة ما تحت الرمال بوضوح بالغ وإنه طبقا لتجارب علمية عديدة، يمكن القول أن أسفل هذا التجمع المائى توجد طبقات من حجر الرمل النوبى الذى شرب من مياه هذا المر الأشبه بالنهر وقت سريان المياه فيه قبل آلاف السنين، ثم خزنها فى مسامه، وقام بحفظها نقية .. فيما يشبه الثلاجة الطبيعية.

وأوضحت الباحثة المصرية أن المنطقة المحيطة بهذا المر المائى فى الصحراء الغربية كانت قبل «خمسين ألف سنة» أشبه بالغابات الاستوائية، أو غابات «السافانا»، بسبب انهمار الأمطار بشدة غالبية العام، فى هذه الفترة، لافتة إلى أن التغيرات المناخية وعوامل الطبيعة التى طغت على المنطقة بمرور الزمن تسببت فى دفن ذلك المجرى المائى، واندثار الحضارة المحيطة به، وهذا يعنى أن نهرا عظيما يقبع داخل رمال هذه الصحراء يبشر بنهضة زراعية كبيرة فيما إذا لو استغل على النحو العلمى السليم بعد أن تعمل الدولة جاهدة على دفع الدول التى أجرمت فى حقها وفى تاريخها على نزع واقتلاع الحدائق الشيطانية التى عاقت تقدم النهضة فى هذه البقعة الهامة من تراب مصر.

لما كان ذلك وكان القانون الدولى الإنسانى (International Humantarian Law) وهو مصطلح جديد ظهر ليطبق على النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية.

ونص فى البرتوكول الثانى (فى الفقرة الثالثة من المادة الثالثة وكذلك الفقرة الثانية من المادة الرابعة) من الاتفاقية المنبعثة منه قد جاء مجرما لزرع الألغام والأفخاخ المتفجرة وعلى حظر الإستعمال العشوائى للأسلحة التى تنطبق عليها هذه المادة وهى الألغام والشراك الخداعية، كما أشار هذا البروتوكول إلى حظر استعمال الألغام فى أية مدينة، أو بلدة، أو قرية، واتخاذ الاحتياطات اللازمة لحماية المدنيين من آثارها.. كما جاء فى عجز هذه المادة منع استعمال الألغام ما لم يكن كل لغم منها مزودا بآلية فعالة لإبطال مفعوله حيث لا يعود فى وسعه أن يخدم الغرض العسكرى الذى بث من أجله.

ولقد كان لآباء القانون الدولى الحديث ومنهما الفقيه الهولندى «جروسيوس» و«فاتيل»، الفضل فى نص القانون الدولى على نظرية الخطأ ،وكذلك نظرية الفعل الغير مشروع (Acte illicite)، ووجوب تعويض الدولة التى تصاب بضرر من دولة أخرى جراء العمل الغير مشروع تفتئت به الثانية على حق الأولى فهنا تنهض المسئولية الدولية المطلقة لتقوم

بواجبها بهذا الخصوص بالنسبة للدولة التى حيف عليها ووقع عليها الضرر وارتباط هذا الخطأ بذاك الضرر ارتباطا لا يقبل التجزئة، مكونا علاقة السببية بينهم.

لما كان ذلك كذلك. فلا جناح على مصر أن تتحرك فى حينه لمخاطبة أولئك الذين زرعوا هذه الحدائق الشيطانية وهم ألمانيا وإيطاليا وإنجلترا.. لما أن هذه الحدائق الشيطانية التى زرعوها فى أرض مصرية هى بالفعل (حدائق).. وليست حديقة واحدة؟!.. وقد أمست ذات حول وطول، آن الآوان لاقتلاعها من جذورها حتى تستطيع مصر أن تعمر قطعة عزيزة من أرضها أصابها الإهمال والنسيان وجار عليها الزمان.

❑❑❑

obeikandl.com

الصفات التى يجب أن يتحلى بها القاضى

بزغ فجر الإسلام ليضع دستورا يجب أن يسير عليه القاضى تمثل فيما كتبه على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – إلى الأشتر النخعى «لما ولاه مصر» وجاء فيه:

اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسك، فمن لا تضيق به الأمور لا يتمادى فى الزلة، ولا يحصر من الفيء إلا الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفى بأدنى منهم إلى أقصاه. أوقفهم فى الشهادة وأخذهم بالحجج وأولهم تبرما بمراجعة الخصوم وأصبرهم على كشف الأمور وأصرمهم عند انفتاح الحكم ممن لا يزدهبه إطراء ولا يستميله إغراء، ولا يخشى فى الحق لومة لائم.

ومما يذكر فى هذا الصدد أن «الحسن بن على» رضوان الله عليهما «شهد لأبيه على قنبر» عند «شريح» القاضى – فى درع خاصم فيه يهوديا، فأنكره فقال شريح لعلى بن أبى طالب – كرم الله وجهه، إإتنى بشاهد آخر. فقال على: مكان الحسن؛ أو مكان قنبر؟ قال شريح: لا، بل مكان الحسن. فقال على بن فى طالب: أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. فقال شريح: قد سمعت، ولكن إننى بشاهد آخر يا أمير المؤمنين. كى أقبل شهادة ابنك له؟.

وكذلك فيما خطه عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه فى قولته:

إذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل :

١ – علم ما كان فعله.

٢ – ونزاهه عن الطمع.

٣ – وحلم على الخصم.

٤ – واقتداء بالأئمة.

٥ – ومشاركة أهل العلم والرأى.

ومما قيل فى آداب القاضى:

«وأما آداب القاضى فيجب أن يكون ذا دماثة مشهودة وسيرة مشكورة وصيانة معروفة وعفة مألوفة ووقار وسكينة ونفس شريفة، تام الورع، خاليا من الطمع، منزها عن ملابسة الرذائل ومخالطة الأرذال، شديدا غير عنيف، لينا غير ضعيف».

ولله در سيدنا عمر بن الخطاب فى رسالته إلى أبى موسى الأشعرى حين قال له حين عينه قاضيا:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن الخطاب. أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس (أبى موسى الأشعرى):

سلام عليك، أما بعد:

فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فإنه إذا أل إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف فى خصمك، ولا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا .لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، «فإن الحق قديم»، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل الفهم الفهم فيما يلجلج فى صدرك، بما ليس فى كتاب ولا سنة ثم اعرف الأشياء والأمثال، فقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينه أمدا ينتهى إليه، فإذا أحضر بينته أخذت له حقه، وإلا استحالت عليه القضية، فإنه أنقى للشك وأجلى للعمى. المسلمون عدول بعضهم على بعض. إلا مجلودا فى حق ومجربا عليه شهادة زور أو ظنا فى ولاء أو نسب.. وإياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات..

ويلخص ابن القيم الصفات التى يجب أن يتحلى بها القاضى فيما يلى:

أولا: أن يكون كاملا فى نفسه.

ثانيا: الذكورة: لأن المرأة، لا يجوز توليها القضاء إلا أن ابن جرير الطبرى يرى جواز تولى المرأة القضاء كالرجل، وأبو حنيفة يرى توليتها فيما تصح فيه شهادتها، وتصح – فيما يرى – فيما سوى الحدود والقصاص.

ثالثا: الحرمة: فإذا انعدمت حرمة القاضى لأى سبب لم يجز قضاءه.

رابعا: الإسلام فلا يجوز أن يكون الكافر قاضيا على المسلمين وجوز أبو حنفية توليته على أهل الذمة، وجوز شهادة بعض أهل الذمة على بعض.

خامسا: العدالة وهى صدق اللهجة وظهور الأمانة والعفة عن المحارم والبعد عن الريب، والأمن فى الرضا والغضب.

سادسا: أن يكون عالما بالأحكام الشرعيا.

سابعا: أن يكون عاملا بأصول الشرع الأربعة، فلا يجوز تولية من ينكر أيا منها.

العقـاد.. وأفول العقـل؟!..

فى بواكير هذا القرن، الذى أوشـكت شمسـه أن تغيب، دعت مجلة الهلال المصرية، عملاق الفكر العربى الأسـتاذ عباس محمود العقاد ،وعميد الأدب الدكتور طه حسـين أن يكتب كل منهما مقالا عن الأخر: عما يعنيه، وعن فكره وأدبه، ويدلى بدلوه فيه.

وبعد أن أفاض كلاهما على الأخر ثناء وإطراء، قال الدكتور طه حسين فى معرض نقده للعقاد: «إن عقل العقاد أطول من لسـانه».. ورد عليه الأسـتاذ العقاد قائلا: «إنه بالقياس على ما قاله الدكتور طه عنى فإننى أقول: إن لسان الدكتور أطول من عقله!».

أراد الدكتور طه حسين بمقولته السابقة أن يبين أن (الجانب العقلى) يغلب دائما على الأسـتاذ العقاد فى كتاباته. وهدف الأستاذ العقاد إلى أن يوضح أن الجانب العاطفى يجور على الجانب الفكرى فيما يخطه عميد الأدب.

وفـى احتفاليـة حضرها رهط مـن الأدباء، وكوكبة مـن المفكرين، وزمرة مـن العلماء فى عيد ميلاد الأسـتاذ العقاد، ،وقد بلغ السبعين، سـأل سائل الدكتور الفيلسوف زكى نجيب محمود عن رأيه فى فرسان الأدب الثلاثة: العقاد، وطه حسين، وتوفيق الحكيم، فأجابه: «إن طه حسين يمثل فى كتاباته (الأديب). وتوفيق الحكيم يمثل (الفنان) أو الفن. كما ذهب مجمع اللغة العربية. أما العقاد فيمثل فى كتاباته (المفكر). وهذا هو مثلث الأدب العربى الحديث.

وفى سـفره الضخم الفخم غير المسـبوق (فى صالون العقاد كانت لنا أيام) كتب الأستاذ الكبير أنيس منصور من بين ما كتب يقول: «كان عقل الأستاذ العقاد كالشمس المتوهجة.. وكانت عقولنا لها طبيعة الشـمع وطبيعـة الزبد ،وكنا نخاف عليها أن تذوب.. فلا نكون شيئا.. ولذلك كنا نجلس أمامه وقد أنحنينا احتراما له. وإخفاء لما عندنا وهو قليل، ووقاية لقلوبنـا وعقولنا.. لولا هـذا الخوف على ما عندنا لانفتحنا له أكثر، وتمددنا فى شمسـه ونعمنا بظلاله.. ولكن عذرنا أننا كنا صغارا.

وأردف الأستاذ أنيس قائلا – وقد كان يومها يدرس الفلسفة بالجامعة: «إن فهم الأستاذ العقاد للفلسفة التى ندرسها أحسن. وأدق. وأوضح».

ومن نافلة القول – أن نذكر – أن الكثيرين من شانئى الأستاذ العقاد أو قل ممن عجزوا عن استيعاب أغوار أدبه نثرا، أو أعماق فكره شعرا، قد دأبوا يرومون نفى العاطفة عن العقاد، و يرومونه بالعقل دونها، اذ أن العاطفة فى «هواجسهم» مغيبة لديه، مع أن الأستاذ العقاد كان يمثل مع عقلانيته وجبروت عقله فيما دبجته يراعته وأفاء به فكره. روح المفكر العبقرى المتزجة بعاطفة الأديب اللوزعى، فقد مج مرقمه بالسحر. ينفثه أفانين وألوانا من الشعر العاطفى الذى يخاطب العاطفة، والوجدان وإن كان لا يطغى على العقل فالعقل إمام للأدميين وأولى بالاتباع من كل إمام.

نقول هذا، وقد أخذنا العجب العجاب فيما قرأناه أخيرا للدكتور مراد وهبة فى كتابه الذى أسماه (ملاك الحقيقة المطلقة). فقد جاء فى الصفحة السابعة والسبعين تحت عنوان (العقاد وأفول العقل) ما كتبه من أن فهم العقاد لـ (جوتة) قد جاء فى ضوء العقاد نفسه بلغته العربية التى تتميز بجرس موسيقى قد يطغى على إبراز الفكرة.. ولم تجئ فى ضوء التنوير ولا فى ضوء فلسفة (كانت).. وأغلب الظن أن العقاد لم يفهم روح القرن الثامن عشر إلا على أنه القرن المتعطش إلى المعرفة والحرية، وهذه ألفاظ بلا مدلول لأن التعطش إلى المعرفة والحرية لا يميز هذا القرن وحده وإنما الذى يميزه هو دعوته إلى تحرير العقل من كل سلطان ما عدا سلطان العقل الأمر الذى أدى إلى أبداع الثورة العلمية والتكنولوجيا.

وتمنى الدكتور لو أن العقاد قد جاء نقده لـ (فاوست) من زاوية روح العصر، ولكنه لم يفعل. وإنما رد الإنتاج الأدبى لجوته إلى عبقرية جوتة.

وختم الدكتور مراد وهبة مقاله قائلا، والعقاد فى نهاية المطاف، لم يدرك روح عصر التنوير إذ يقول عن هذا العصر الذى نشأ فيه جوته إنه لم يكن عصر إحصاء بل كان عصر إحاطة وإجمال، وتمهيد من الإجمال إلى التفصيل.

وأنهى الدكتور مقالة بقوله: «وليس عندى من خاتمة توجز ما انتهينا إليه من تحليل فكر العقاد سوى.. عنوان هذا المقال» أى أفول العقل.

هل هذا كلام يا دكتور؟!. وهل هذا هو النقد العلمى؟!.. وهل هذا هو ما تعلمه لتلاميذك فى الجامعة عندما يريدون أن يتصدوا لمسألة فكرية أو علمية أو لمقولة فلسفية، أن يتهموا صاحبها – إن اختلفوا هم معه فيما قاله أو كتبه أو رواه بأفول العقل!.. أليس بمكنتنا إذن أن نقول للأستاذ الدكتور أن ألفاظه هى الأخرى، كما رمى الأستاذ العقاد،

بلا مدلول (لأن الدعوى) إلى تحرير العقل من كل سلطان ما عدا سلطان العقل كانت هى الأخرى مما يميز القرن السابع عشر. وكذلك القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وقد ظهر فيهما العديد من المفكرين والعلماء الذين أحدثوا انقلابا فى تاريخ العلم والتكنولوجيا، فقد كان (كوبرنيقوس) هو العالم الذى قام بالانفلاق الأكبر عن الماضى مبشرا بمجئ عصر العلم الحديث مع بدايات اهتياج تمخض عنه أعظم كشوف القرن الخامس عشر: اكتشاف أمريكا وما تلاه من إبحار حول العالم عن فكرة كروية الأرض من استنباط عقلى إلى واقع عينى فى نهاية القرن الخامس عشر وألف كتابه العظيم «حول دورانات الكرات السماوية» فى منتصف القرن السادس عشر كما ظهر (فبياليوس) الذى فجر ثورة فى علم التشريح، كما اكتشف (ويليام هارفى) الدورة الدموية، أو بالأحرى حل مشكلتها، كما نشر الإيطالى (فانوكير بيرينجيكو) عام ١٥٤٠ بحثه حول استخدامات النار فى العمليات التقنية. كما كان هناك فى عالم الرياضة (كبلر) و(بيزاجاليليو جاليلى) و(روبرت هوك) و(فرانسيس بيكون) وغيرهم من العلماء الذى أحدثوا ثورة فى كل مجالات العلم المتباينة.

وفى غضون القرن السابع عشر ومنهم «إسحق نيوتن» الذى ابتكر حساب التفاضل والتكامل ناهيك عن نظرية الجاذبية الأرضية.

ثم أليس من الثابت – يادكتور مراد – أن مظاهر التطور فى حركة النقد الأدبى والتى كانت بمثابة الثورة العاتية على الكلاسيكية كما عبر الأستاذ الدكتور محمد زكى العشماوى قد تبلورت فى القرن الثامن عشر (وفى مذهب جديد)، كان أبرز صفاته التحرر والفردية. ومحاولة سبر أغوار النفس الإنسانية، واكتشاف أفاق جديدة لأسرار الابتكار والإبداع؟.

فيم – إذا – كان خطأ الأستاذ العقاد فيما ذهب إليه على نحو ما قلته: من أن الأستاذ العقاد لم يفهم روح القرن الثامن عشر، إلا على أنه القرن المتعطش إلى المعرفة والحرية؟! وهل يميز القرن الثامن عشر وحده بدعوته إلى تحرير العقل من كل سلطان ماعدا سلطان العقل.. كما قلت؟!.

قال فولتير: «إنى أختلف معك فى الرأى، ولكننى مستعد لأن أدافع عن رأيك أنت حتى الموت»؟!.

ألم يكن من اللائق – يادكتور وهبة – إذن – أن تختلف مع الأستاذ العقاد دون أن تصمه بأفول عقله؟!.

كما كنا نود وأنت الأســتاذ الكبير أن تيمم وجهك شــطر هذا، وإلا تكون كمثل الذين (قتلتهم أشعارهم)، أو – ياترى – هل أردت أن تقول للأستاذ العقاد ما قاله الشاعر إيليا أبو ماضى للبحر فى قصيدته العصماء (الطلاسم):

إنما أنت بلا عقل، ولى يابحر عقل فلماذا ياترى أمضى وتبقى؟..

«لست أدرى!».

❑❑❑

obeikandl.com

الغنم بالغرم.. والهنود الحمر؟!..

يقص علينا التاريخ أنه فى غضون عام ١٧٣٠ أصدر البرلمان الأمريكى تشريعا يبيح إبادة الهنود الحمر، كما أصدر قرارا بتقديم مكافأة كبيرة مقابل كل رأس مسلوخ لهندى أحمر سواء أكان رجلا أم امرأة أو طفلا صغيراً؟! حيث كان عدد الهنود الحمر سكان أمريكا الأوائل الأصليين يبلغ أثنتى عشر ومائة مليون نسمة وصل بعد عمليات الإبادة لهم إلى أربعة ملايين فقط بعد أن حصدهم الأمريكيون حصدا يعيشون فى مخيمات وهى أشبه بمخيمات اللاجئين الفلسطينين وفى مناطق أسوأ بكثير من أفقر المناطق فى العالم؟! ولم يبق منهم اليوم سوى مليون هندى أحمرا مع إنهم لم يكونوا هنودا ولم يكونوا حمرا وإنما أطلق عليهم هذا الاسم «كريستوفر كولومبس» عام ١٤٩٢ عندما حط على أرضهم، ويعيشون فى محميات مستقلة أطلق عليها أماكن تجميع الحيوانات حيث أرغمت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية هذه القبائل على الإنتقال والعيش فيها قبل أكثر من قرن من الزمان مع إنهم هم سكان أمريكا الأصليين (Native Americans)؟! وتعرضوا للمجازر الجماعية من قبل المستوطنين البيض سواء البريطانيين أو الفرنسيين أو الإسبان.

شبه المرحوم الكاتب الساخر الأستاذ محمود السعدنى رحمه الله – أمريكا – بأنها مثل «إبراهيم كروم» فتوة مصر فقد استطاعت – كما هو – أن تحطم كل الفتوات الأخرين وأن تزيحهم من طريقها وأن تدوس عليهم بالأقدام فالويل كل الويل لأية دولة تقف فى وجه أطماعها أو تتحدى إرادتها أو تخرج عن خطها فهى تارةً تتدخل بنفسها لإزاحة أية دولة تجابهها، وهى تارةً أخرى تستخدم – الآخرين – مثلما استخدمت إسرائيل ضد العرب حتى استلبت إسرائيل ـ فلسطين – من العرب؛ فلقد فلحت أمريكا فى وضع حكومة بريتوريا ضد أفريقيا، وباكستان ضد أفغانستان؛ والسان سلفادور ضد نيكاراجوا، وجواتمالا ضد كوبا، وتايوان ضد الصين، وكوريا الجنوبية ضد الكوريا الشمالية.

فأمريكا هى البلد الوحيد التى تطلق على حكومتها اسم إدارة لأنها ليست دولة ولكنها شركة (الغنم فيها بالغرم).

وقد غرم الهنود الحمر من خلال ثقتهم فى أمريكا وغنمت أمريكا من خلال سحقها ومحقها لشعب الهنود الحمر، فالهنود الحمر وكما أطلق عليهم هذه التسمية «كولومبوس»

عشية اكتشافه لأمريكا اعتقادا منه أنه حط رحاله على أرض الهند، وكذلك درجت أمريكا على إطلاق هذا الاسم عليهم تمييزا لهم عن الهنود السمر ثم بدلت أمريكا هذا الاسم إلى الأمريكيين الأصليين (Native Americans)، وكانوا كما عبر «راسل مينز» أحد المنافحين عن حقوق الهنود فى الولايات المتحدة الأمريكية يبلغ تعدادهم فى الماضى حوالى خمسة عشر مليون نسمة ولم يبق منهم اليوم سوى المليون يعيشون فى مخيمات مستقلة حقدا عليهم وإزدراء لهم، يحيط بهم أحاطة السوار بالمعصم جيش من الأوبئة والأمراض جرار وذلك من خلال أكبر جريمة عرفها التاريخ ومن بعدها ولدت جريمة اغتصاب فلسطين العربية من رحم الولايات المتحدة الأمريكية وشركائها الذين دبروا اغتصاب فلسطين بليل.

ولقد أرغم الهنود الحمر عبر مسيرة طويلة من الإبادة على عقد ثلاثمائة وسبعين معاهدة مع الحكومة الفيدرالية الأمريكية أنتهكت جميعها وأمست ذرات تذروها الرياح بعد الفتك بأصحاب البلاد الأصليين وإذ رست حرب الإبادة مرفأ نجاحها، وقف زعيم من زعماء الهنود الحمر وهو يخاطب مفاوضيه من الحكومة الأمريكية الفيدرالية كما جاء فى الكتاب القيم «أساطير الهنود الحمر» للأستاذ إبراهيم جلال.. قائلا لهم: «تطلبون منى أن أتنازل لكم عن الأرض؟ ولكن، هل أنا أملك الأرض حتى أملك حق التنازل لكم عنها؟ من يستطيع الزعم بأنه يملك الأرض والبحار والسماء؟! أنتم، عندما وصلتم إلى بلادنا، رحبنا بكم وعلمناكم كيف تبدأون حياتكم الجديدة على أرض تجهلونها، وتطلعنا إلى التعلم منكم، لكنكم رحتم تبيدون قطعان المواشى، وتدمرون الغابات، وتقتلون الناس!. نحن نأخذ من القطعان حاجتنا، ونأخذ من الغابات ما يلزمنا، فلماذا تبيدون القطعان وتدمرون الغابات؟! أشعر أن قلبى يدمى!».

أبادت أمريكا شعب الهنود الحمر وطمست تاريخه محاولة أن تلقى عليه تراب النسيان وأثبت التاريخ أن « أندروا جاكسون» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق والذى يطلق عليه الهنود الحمر اسم «السكين الحادة» قد ذبح خلال عمله كضابط عشرات الألوف من الهنود فى أعجب وأغرب مأساة فى تاريخ البشر.

هل لنا أن نتعظ.. وأن نستقرئ التاريخ حتى نستبطن الظاهر، ونستظهر الباطن، ونعلم كيف يكون المغرم من البعض هو مغنم للآخرين كما حدث مع الهنود الحمر، وكذلك.. كما حدث مع شعب فلسطين؟!.

❑❑❑

ألف ليلة وليلة.. والقضاء المصرى..

يقول كوكاردو: «cacardeau» من احتكاك الإحساس بالإحساس والرأى بالرأى تتألق الحقيقة ويكون لها ضياء، والذى لا مرية فيه أن مقارعة الحجة بالحجة توصل إلى الحق الذى يسفر عن العدل والعدل أساس الملك والعدل هو رسالة القاضى. وكما ذكر الفيلسوف «Fermi» إن الأحكام التى تصدر بسرعة تكون فى الغالب الأعم فى منأى عن محجة الصواب.

والفيلسوف العظيم أرسطو فى كتابه «De mundo» يدعو إلى أن يتشرب القاضى منذ حداثة عهده الحب العدل وأن يسلك سبيله.

وبإمعان نظر، وإعمال الفكر أصدر النائب العام قراره الذى هو - كالحكم سواء بسواء - بحفظ البلاغات المقدمة ضد كتاب «ألف ليلة وليلة» وهو الكتاب الذى أسس على «فن الحَكْى» فى لغة الضاد، وترجم إلى اللغات الحية.

ودحض النائب العام اتهام الكتاب بالاحتواء على العديد من العبارات التى رأى فيها البعض ازدراء للدين الإسلامى وخدشا للحياء العام قائلا: «إن هذه الاتهامات بعيدة كل البعد عن فكرة انتهاك حرمة الأخلاق».

وإذا كان الشئ بالشئ يذكر - كما يقال - فلقد سبق أن ألصق بالعديد من التواليف الأدبية مثل ماوجه إلى الكتاب المذكور ويزخر التاريخ بروايات عديدة سار الحال معها على هذا المنوال، مثل: رواية دى كاميرون «الأيام العشرة» وكتاب مدرسة البنات (١٦٦٥) لمؤلفه ميشل ميليلوت، وكذلك كتاب (الكاما سترا - الهندا) الذى نشر عام ١٨٧٥ ناهيك عن غيرها من الكتب المغضوب عليها من بعض شانئى الفكر.

وأنصف القضاء فى الدول - صاحبة هاتيك الكتب - ما وجه إليها من سهام وأخلت سبيلها بعد (القبض) عليها، ومصادرتها؟.

إن قرار النائب العام أثبت بما لا يدع - مجالا للجاج - أن فى مصر قضاء.. وأن فى مصر قضاة.. كما أكد أن حرية الفكر المستنير لها رجالها.. ولها مفكروها.

❑❑❑

القضاء المصرى.. بين التقليد.. والتقاليد؟!

معنى القضاء هو الحكم ومن المتفق عليه أن معنى الحكم هو القضاء بالعدل بالقضاء إذن هو القضاء بالحكم بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ [سورة النساء – الآية ٥٨].. ومن نافلة القول أن نقول إن الكثيرين من ذوى الرأى والحجة قد أحجموا عن قبول تولى مناصب القضاء مع كونهم من العلماء، ومن زمرة الفقهاء، أحجم عنه الإمام (أبو حنيفة) وهو من هو، وولى الأدبار، وهرب منه الفقيه (أبو قلامة). وهو من العارفين التقات واختفى فى الأمصار، وهو يقول: ما وجدت مثل القاضى إلا مثل سابح فى بحر، فكم عسى أن يسبح حتى يغرق.

بل ها هوذا (ابن مكحول) العالم اللوذعى يجأر بالشكوى منه ويشيح بوجهه عنه وهو الذى جأر قائلا: لو خيرت بين أن يضرب عنقى وبين القضاء لاخترت ضرب عنقى؟!.

كما أن معنى القاضى القاطع للأمور المحكم لها ومن هنا قيل «للحاكم قاض».. لأنه يمنع الظالم من الظلم، ويرد الحقوق إلى أهلها ويقيم العدل وهو أساس الملك بين الناس قال تعالى ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة ص – الآية ٢٦] واستدل الشراح من هذه الأية الكريمة على أن رسالة القاضى هى جزء من رسالة الأنبياء. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة النساء – الآية ١٠٥].

والثابت أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مارس القضاء فى شتى مناحى الحياة ونواحيها، وقلد بعضا من أصحابه وظيفة القضاء، وهو عليه الصلاة والسلام، يحذرهم، وينبههم، من هول ما يجابه القاضى، وما يلقاه يوم القيامة يجاء بالقاضى العدل – يوم القيامة قيلقى من شدة الحساب ما تمنى إنه لم يقض بين اثنين قط.

والمعروف أنه عليه السلام لم يول امرأة منصب القضاء فى قطر من الأقطار.. أو مصر من الأمصار، والمأثور عنه عليه الصلاة والسلام أنه لما بلغه أن «فارس» ملكت عليها ابنة (كسرى) قال (لن يفلح قوم ولوا أمورهم امرأة)؟. ولم يذكر لنا التاريخ أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل من بين رسله أو اصطفى من بين أنبيائه الذين أرسلهم للناس كافة.. امرأة.. ولو أراد سبحانه لفعل.. فلماذا إذن يريد البعض مالم يرده الله؟.. نقول هذا لمن قال إن الدستور

لا يمنع المرأة من أن تتوسد كرسى القضاء أو لمن قال إن قانون السلطة القضائية لم يحظر ذاك. ثم نقرع حجتهم بالحجة مذكرين: (أولا) إن كان صحيحا أن الفقهاء، قد اختلفوا فى شرط الذكورة لمن يتولى القضاء، بيد أن الأمر الراجح، هو ما اتفق عليه جمهور الأئمة وزمرة العلماء. أن اشتراط أن يكون من يتولى القضاء هو من الرجال دون النساء، هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، القضاء ثلاثة: واحد فى الجنة، وإثنان فى النار، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، وأما الذى فى النار فرجل عرف الحق وجار فى الحكم فهو فى النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار.. ووجه استدلالهم بهذا الحديث هو أن الرسول عليه السلام قد أفصح بما لا يدع مجالا للشك أو اللجاج من أن القاضى يجب أن يكون من الرجال.

(ثانياً) تقول الآية الكريمة من سورة البقرة (٢٨٢) ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ﴾. هذا النص الصريح يؤكد أن المرأة لا يصح لها أن تشهد فى الأموال أما فى القصاص والحدود فالفقهاء مجمعون على عدم قبول شهادتها فيما، وإذا كانت قد قبلت شهادتها مع الرجل كما فى الشهادة فى الأموال فمعنى هذا أنه لا يجوز لها أن تتولى إلا بالاشتراك مع الرجل.. وهنا غير جائز فى القضاء.. لأن القضاء (لا يتبعض).. أى لا يتجزأ.

(ثالثا) من ارتفعت عقيرتهم بالمناداة بتولى المرأة قضاء الأحداث بحسبان أن محاكم الأحداث ليست بمحاكم جنائية .. مردود عليهم بأن قضايا الأحداث كثيرا، ما تكون فى حقيقة أمرها أقضية جنائية عقوبتها كما فى الشريعة الإسلامية حدودا وقصاصا.. والفقهاء قد أجمعوا على عدم شهادتها أو بالأحرى قبولها فيها وكما أسلفنا القول.

(رابعاً) إن القاضى بحكم عمله – يتعرض للمدح والقدح، وللقيل والقال ونصف الناس له أعداء هذا إن عدل. فكيف بالمرأة إن تولت وظيفة القضاء وهى صاحبة العاطفة الجياشة وذات الخدر والحياء؟!.

(خامساً) من الثابت علميا، وكما عبر المفكر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد أن إرادة المرأة الفردية تختلف عن إرادتها النوعية.. فكيف بالله تقضى بين الناس مع اختلاف هاتين الإرادتين؟.

(سادسا) جاءت فتوى الأزهر الشريف الصادرة عام ١٩٥٢ – ولم تصدر فتوى أخرى تناقضها تؤكد: «أن الإجماع كان منعقدا على بطلان تولى المرأة القضاء، وإثم موليها، فلا اعتداد برأى من قال بجواز توليها القضاء. بعد انقراض عصر المجمعين من غير دليل معتبر ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [سورة النساء – الآية ١١٥].

أَوَ بعد هذا هل يجرؤ قائل على جواز تولى المرأة القضاء؟!.

ياليتنا نأخذ بالتقاليد المجيدة التليدة.. تقاليد القضاء الإسلامى الشامخ.. وتقاليد قضاء مصر الساطع البازغ الذى أرساها عبر حقب طويلة من الزمان.. وننحى جانبا التقليد، (الوليد) الذى يحلو للبعض بين الحين والحين أن يلوح لنا بزرائعه، وهى أشبه بذراع من جريد، وليست بالقطع هى فى يد من حديد (؟) مع الاعتذار لأستاذنا العقاد، طيب الله ثراه، حتى يظل القضاء المصرى كما كان دائما ودوما فى موقعه من الأمن والأمان صونا له، ولنا ورحمة بكل إنسان؟.

❑❑❑

القضاء.. بين الماضى والحاضر..

وذكـر إن نفعت الذكرى، فما زلـت مؤمنا أن قضاء مصر وقضاتها فخر الأجيال والدرع الواقى لكل مظلوم، وهو الأمن والأمان والكرامة لكل جيل من الأجيال، وهو فخر مصر أمام العـالم أجمـع ومازلت أذكر أن عبد العزيز فهمى باشـا أول رئيس لمحكمة النقض والذى أرسى مع زملائه المبادئ التى يهتدى بهديها القضاء.

فقد كان يذهب إلى محكمة النقض فى عربة سـوداء مغلقة، وكذلك يعود بها إلى منزله نأيا بنفسه عن أن يراه أحد من الناس.

وتعود بى الذكرى مرة أخرى إلى وزير العدل الأسـبق المرحوم «أحمد خشبة باشا» وكان قـد أصدر الحركـة القضائية فى أحد الأعوام، وإذا بصديق يدخل عليه مكتبه مغضبا قائلا له: لماذا لم تعين فلانا قاضيا، إنه يصلح أن يكون وزيرا فأجابه على الفور : قد يصلح أن يكون وزيرا لكنه لا يصلح أن يكون قاضيا.

ذلك ما كان عليه القضاء فى زمن ليس ببعيد.

والقاعدة المعمول بها الآن يشـملها العوار لأنها تعتمد على درجات شـهادة الليسـانس بالإضافـة إلى امتحان شـفهى شـكلى لا يؤدى إلى غرضه، الأمر الـذى ترتب عليه إلحاق البعض فى سلك القضاء مع أنه ما كان يصلح له، وقد يفلح فى وظائف أخرى.

ومن هنا فإننا نرى أنه يجب أن يوضع نظام جديد للقبول فى السلك القضائى يقوم على وضعـه كبار رجال القضاء لا يعتمد فقط على الدرجات الدراسـية ولكن يكون قوامه التأكد من صلاحية من يريد أن يلتحق بالقضاء من الناحية النفسـية والثقافية لاختيار الصالح من بين المتقدمين.

وأخـيرا يحضرنى قول القائل: «خذوا حذركـم من نوبة الدهر فإنها إذا لم تكن حانت فسوف تحين».

❑❑❑

القضاء ذلك الحصن ..

القضاء فى مصر هو الحصن المنيع، الذى بقى لنا بعد الأختراق الذى حدث فى السلطتين التشريعية والتنفيذية فى عهد ثورة يوليو. بل إن هذا الحصن نفسه جرى اختراقه فى عهد الثورة، وشهد تاريخنا القضائى ما عرف باسم «مذبحة القضاة». وفى عهد السادات، وعلى الرغم من إعادته للقضاة الطمأنينة والأمن، فإن أحكام القضاة فى القضايا السياسية كثيرا ما حدث تجاهلها وتوقيفها بمقتضى قانون الطوارئ.

وقد أتيح للقضاة الفرصة لكى يلعبوا دورا هاما فى صيانة الحريات السياسية، جعلهم جزءا لا يتجزأ من الحركة الوطنية ،وأصبح القضاء عنصرا هاما فى إلغاء سلبيات السيطرة على السلطتين التشريعية والتنفيذية، وإقامة نوع من التوزان الفريد، تقف فى كفته الأولى السلطتان التشريعية والتنفيذية، وتقف فى الكفة الثانية السلطة القضائية. وفيه تستطيع السلطتان التشريعية والتنفيذية، ممثلتين فى مجلس الشعب والحكومة، ارتكاب الأخطاء والتجاوزات والانتهاكات. وتقوم السلطة القضائية ـ عن طريق أحكامها ـ بإلغاء أثر هذه الأخطاء والتجاوزات والانتهاكات!.

ولكن القضاء لا يقتصر دوره على الدور السياسى، فدوره الأساسى هو الفصل فيما يشجر بين الناس من خلافات، سواء كانت هذه الخلافات جنائية أو مدنية أو تجارية وسواء كانت خلافات تتعلق بالأحوال الشخصية بين الزوجين، أو بالأحوال الاقتصادية بين العمال وأصحاب الأعمال.

وهذا التفرع فى مجالات الفصل، يتوقع المرء أن يتبعه تفرع فى مجالات التخصص، لأن هذا التفرع فى التخصص هو الذى يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، كما و الحال بالنسبة لكل فروع العلم. فحق فى مجال علم التاريخ بتخصص الباحث – منذ البداية – فى فرع التاريخ الإسلامى أو القديم أو الوسيط أو الحديث أو المعاصر، ولا يحاضر أستاذ التاريخ الحديث فى موضوعات التاريخ القديم، والعكس بالعكس.

ولكن فيما يبدو أن ما يعتقده المرء أمرا بديهيا لا يحتاج إلى إثبات فى العالم الخارجى، يحتاج إلى إثبات فى مصر ! فكم عجبت حين كتب إلى المستشار محمد مرشدى بركات

رسالة يعنى نفسه فيها بإثبات هذه البديهية!. وكنت أعتقد أن مجرد الإشارة إليها كاف فـى حد ذاته للتنبيـه إليها ومعالجتها – الأمر الذى أوضح لى كيف تحولت هذه البديهية إلى قضية عويصة تؤثر سلبا على رجال القضاء، بل تؤثر أيضا على مصلحة المتقاضين وتؤثر على الأحكام، حتى إنها لتعد السبب الرئيسى فى كل الأزمنة الحالية للقضاء فى مصر.

وبطبيعة الحال فلسـت أنوى أن أعالج القضية على أنها بديهية، وإنما أعالجها على أنهـا قضية عويصة تتطلب تدخل وزير العدل، إن لم تتطلب تدخل رئيس الدولة، حرصا علـى أن يأخـذ العدل مجـراه فى بلادنا، ومن أجل ذلك – الكلام على لسـان أ. د. عبد العظيم رمضان – فإنى أنشر الحيثيات التى كتبها المستشار محمد مرشدى بركات للتدليل على أهمية تخصص القاضى، وتمضى على النحو الآتى:

أولا: إن تخصص القاضى يعد ضمانة للقضاة والمتقاضين، حيث يتيح التخصص للقاضى المزيد من الإطلاع على الفرع الذى تخصص فيه، والعكوف على البحث والاسـتقصاء فيما تخصص فيه من فروع القانون. وفى الوقت نفسه فإن هذا التخصص يضمن للمتقاضين وجود القاضـى العالم الملم بدقائق الموضوعات والتباينات المتفرعة من القضايا، الأمر الذى يترتب عليه – سرعة البت فيما يثار أمامه والدقة فى اتخاذ القرار، وصحة الأحكام.

ثانيا: إن عدم تخصص القاضى يعرضه دائما لعدم الاستقرار الذهنى. إذ أنه يتعرض كل عام أو عامين للتنقل من عمل إلى عمل، بعد أن يكون قد سبر غور العمل الذى نهض به، ويكـون عليه أن يبدأ من جديد فى البحث والاطـلاع والتمكن من الفرع الذى انتقل إليه، حتى يسـتطيع أن يحكم بالعدل بين الناس، وقبل أن يتمكن من ذلك يفاجأ بالانتقال إلى عمل آخر وعلم جديد، فيعيد الكرة من جديد!.

وفى الوقت نفسـه، ويضاعف من حجم المشـكلة، تضخم أعداد القضايا التى عليه أن يقضى فيها شـهريا، من مختلف التخصصات. فلم نسـمع عن قاض من القضاة فى جميع أنحاء العالم يقضى فى آلاف القضايا شهريا، وفى أكثر من فرع من فروع القانون – ما بين مدنـى وجنائى وأحوال شـخصية – فى وقت واحد؛ بل إننا سمعنـا عن القيامة تقوم فى أحد البلاد الأوربية عندما رفع نصيب القاضى فى ذلك البلد من ثلاث قضايا فى الشهر إلى خمس قضايا ! ولم تهدأ الأمور حتى عاد النصاب المقرر للقاضى إلى ما كان عليه!.

ثالثـا: إن طبيعة عمل القاضى، تحتم عليه ألا ينحصر علمه داخل تخصصه، إذ عليه أن يثقف نفسه بشتى ألوان المعرفة، وقد كان والدى رحمه الله – وكان من أعلام القضاء –

يقـول إن القاضـي يجب أن يعرف كل شـئ. ومن هنا كانت قراءاتـه المتنوعة واطلاعاته الواسعة. وعلى سبيل المثال فإن القاضى يجب أن يكون مثقفا فى اللغة العربية وواقفا على دقائقها لكى يدون بها أحكامه، فاللغة وعاء الفكر، ولعل أكثر القضاة علما أكثرهم سـبرا لأغـوار اللغة العربية وأسـرارها – ناهيك عن ضرورة اطلاع القاضـي على أحدث المراجع المختلفـة والنهل مـن مناهل العلم المتباينة. ومن البديهـي أن القاضى المصرى لا يتأتى له ذلك، وهو غارق فى بحر لجى من فروع القانون المتضاربة المختلفة.

رابعا: لولا التخصص، ما عرفت مصر علامة مثل السـنهورى باشـا، الذى بز أترابه، وفـاق أقرانـه، وكان علما فى جيله وفى جميع الأجيال، وأصبحـت تواليفه ومؤلفاته فى القانون المدنى الذى تخصص فيه، مرجعا هاما ورئيسيا لكل قاض، ولكل أستاذ من أساتذة القانون فى مصر وفى البلاد العربية قاطبة.

خامسـا: من العجيب والغريب معا أن قانون السلطة القضائية (القرار بالقانون رقم ٤٦ لسـنة ١٩٧٢) قد حل – بالفعل – قضية التخصص. فقد نص فى المادة الثانية عشـرة منه على أنه يجوز تخصص القاضى. بعد مضى أربع سنوات على الأقل من تعيينه فى وظيفته. ويجب أن يتبع نظام التخصص بالنسـبة للمستشـارين، وبالنسبة لمن يكون من القضاة قد مضـى علـى تعيينه ثمانى سـنوات. ويصدر بالنظام الذى يتبع فـى التخصص، قرار من وزيـر العدل، بعد موافقة المجلس الأعلـى للهيئات القضائية، على أن تراعى فيه القواعد الآتية:

١ – يكـون تخصـص القاضى فى فرع أو أكثر من الفروع الآتية: «جنائى مدنى تجارى أحوال شخصية – مسائل اجتماعية (عمال)».

ويجوز أن تزاد هذه الفروع بقرار من المجلس الأعلى للهيئات القضائية.

٢ – يقـرر المجلس الأعلى للهيئـات القضائية الفرع الذى يتخصص فيه القاضى، بعد استطلاع رغبته. ويجوز عند الضرورة ندب القاضى المتخصص من فرع إلى آخر.

والسؤال الذى يثور: أين ذهبت هذه النصوص؟ ولماذا لم تطبق حتى الآن؟.

سادسا: إن سمو مركز القاضى يحتم على الدولة أن ترفع عن كاهلة هذا الظلم الشديد، الذى يعرضه فى عمله للعنت والمشـقة من جراء عدم تخصصه. ولقد كان شيخ القضاة عبد العزيـز فهمى باشـا هو الذى عبر فى أهمية رسـالة القاضى خير تعبـير عندما قال قولته

الخالـدة وهو يرفض منصـب الوزير فى عام ١٩٢٨ قائلا: «إن مركـز القاضى من الدرجة الثانية أكرم عندى من مركز الوزير». وقد اشـتكى يلزاك من أن فرنسـا فى حاجة إلى ستة ألاف قاض، ولا يوجد جيل يضم ستة ألاف رجل عظيم ! ونحن نقول إن مصر فى حاجة إلى عشرة ألاف قاض، ولا يوجد جيل من الأجيال يضم عشرة آلاف رجل عظيم!.

انتهت رسـالة المستشار محمد مرشدى بركات الرئيس بمحكمة استئناف القاهرة، وهى رسـالة خطيرة بكل المعايير، بل هى رسـالة تثير الإزعـاج، لأن الأمل فى العدل – عدل القضـاء – هو الذى يمنع الناس من الاقتصاص لأنفسـهم بأيديهم. وهذا العدل يتطلب من القاضـى أن يكون متفقها فيما يحكم فيه، وهـذا التفقه لا يتأتى إلا عن طريق التخصص، وفى الوقت نفسـه فإن هذا العدل لا يتأتى إلا إذا كان لدى القاضى الوقت نفسـه فإن هذا العـدل لا يتأتـى إلا إذا كان لدى القاضى الوقت الكافى لوزن الأدلة والبحث فى المراجع، وتحـرى الدقـة فى حكمه، وهذا كلـه لا يتأتى إلا إذا كان عدد القضايـا التى ينظر فيها فى حدود إمكانياته البشـرية، فإذا تجاوزت هذه القضايا تلك الإمكانيات البشـرية، وإذا كانت هذه القضايا فى الوقت نفسـه قضايا متنوعة تنتمى لأكثر من فرع من فروع القانون، ما بين مدنى وجنائى وأحوال شـخصية كيف يمكن لشـعبنا الاطمئنان إلى أن العدل سوف يأخذ مجراه؟.

صحيـح أننا نملك فى مصر قضاة نفخر بهم نزاهة وعلما، ولكن العدل يتطلب أكثر من ذلك، أى يتطلب أن نوفر للقاضى الفرصة لكى يمارس نزاهته وعلمه، وذلك بتخصصه فى فرع من فروع القانون من جهة، وعدم إثقاله بألوف القضايا التى تحتاج إلى وقت لا يملكه من جهة أخرى فإذا لم تفعل ذلك فإننا نكون قد دفنا رؤوسنا فى الرمال.

❑❑❑

المكتبات الموسيقية

جبلت النفس على كراهة ما تجهله ومن هنا ظهر ما يسمى بالمعاداة «messonism» للجديد، وفقا لمصطلح «يونج Yong».. أحد أقطاب علم النفس الثلاثة (فرويد، وأدلر، ويونج).

والذى نراه أن هذه القاعدة أو المقولة تنطبق على الأدب برافديه.. الشعر والنثر.

كما أنها تكاد تشمل كذلك الفنون الأخرى ومنها فن الرسم، وعلى سبيل المثال فإن لوحات الرسام العالمى السيريالية «بابلو بيكاسو» «Picasso Pablo» لا يهضمها أو يستسيغها الكثيرون.. مع أن لوحاته تباع بالملايين من الدولات وكان بين هؤلاء أستاذنا «العقاد».

أما الموسيقى هذا الفن الرفيع، فالجميع يرهف أذنه – ولا نقول آذانه – لأن لغة الموسيقى لها نشوة وسعادة بالغين.. لماذا؟.

لأنها ليست لغة عالمية فقط، ولكنها مجموعة من اللغات تخاطب كل فرد وكل شعب، فلكل منهما لغته الموسيقية.

توارث الإنسان حب الموسيقى عبر آماد طويلة من الزمان، وكذلك كانت هى مع الحيوان، فإن الحيوان يطرب أيضا للموسيقى – كما يطرب لها الإنسان، ويُحكى أنه قد حدث فى «هولندا» أن عولج بها نوع من الماشية أصيب بمرض، جعل اللبن يتأبى عليه، فعُزفت له الموسيقى، فأحدث له التأثير الموسيقى ما بدد سقمه ودر لبنه، ومن المعروف أن الخيل تهيم بالموسيقى وتتأثر بسماعها حتى إنها ترقص على إيقاعها، والأمر هكذا مع الطيور فى التأثر بالموسيقى وثمة أنواع منها يبلغ تأثرها بها مبلغا كبيرا، فإنها تأنس بها فى وحدتها، وقد لاحظ العلماء أن عصفور «الكنارى» يهيج بسماع الموسيقى فيأخذ بالغناء والتغريد.

ويحكى التاريخ أنه فى أيام الجاهلية الأولى كان العربى وهو يشق بطون الصحراء يلجأ إلى الحِداء ليُنسى إبله الإجهاد ومشقة ارتيادها للصحراء المميتة ليخفف عنها ما فيها من آلم وما اعتورها من جوع وما استبد بها من ظمأ فيبعث فيها الحيوية والنشاط.

وفى أقدم الأساطير أن الكثير من الرعاة كانوا يستخدمون المزامير فى الترويح عن أغنامهم، فتُقبل بعد ذلك على رعى الكلأ بشهية وإقبال، وها هى ذى التوارة تقص علينا

أن النبى داود عليه السلام وفى أثناء رعيه لأغنامه، كان يدندن لها بمزاميره ليخفف عنها مشقة الطريق فورد فيها : كان داوود هو أصغر الرعاة وبينما كانت الحرب مشتعلة بينه وبين أعدائه كان يردد هذا النبى عليه السلام مزاميره وبيده القثيارة التى يعزف عليها.

وقد إهتم حكماء العرب فى فجر الحضارة العربية «بالموسيقى» كوسيلة ماضية للعلاج من الكثير من أوصاب الأمراض، ومن هؤلاء «الكندى» و«الشيخ الرئيس ابن سيناء» و «الرازى»، وكذلك الفيلسوف «ابن رشد»، و«ابن سيمون» فى الأندلس، وعنهم انتشر استعمال الموسيقى فى القارة الأروبية.

وعندما بزغ الإسلام استهل بها نغمة الآذان، فكانت - بهذه المثابة - البوادر الفنية للموسيقى فى هذا العصر فى العام الأول أو الثانى من الهجرة على يد (بلال الحبشى) الذى كان أول من قام بتأدية الأذان، ومما يروى أن النبى «محمد» كان يقول له: (يا بلال غن الغزل).

ومرت بالموسيقى عقود طويلة حتى وصلت إلى الموسيقى «الباروك» التى تأسست فى أوروبا وبدأت فى عهد الموسيقار «بالسترتبا» وظهر من بعده الموسيقار «جان باخ»، وجاء العصر «البرومستيكى»، ثم العصر «الرومانتيكى» فى بداية القرن التاسع عشر.

والذى لا مراء فيه أن للموسيقى شأو كبير وأثر عظيم فى تربية الشعوب ولا سيما النشء والشباب، فهى تهذب الأخلاق وتشذب الأذواق وتبعث الحمية والحيوية فى سويداء القلوب، وكان «هلتر» الزعيم النازى يتفاخر بذلك، ويقول: إن سبب قوة شباب ألمانيا ونشاطهم وحيويتهم هو الموسيقى.

لذلك تتسابق الدول المختلفة ولا سيما المتحضرة منها إلى العناية بالموسيقى والاهتمام بالتربية الموسيقية ونشرها بين أبنائها متبعة فى ذلك فكرة «المكتبات الموسيقية».

وهذه المكتبات عبارة عن دور خاصة مجهزة بأحدث أجهزة الاستماع والتسجيلات الموسيقية الممتازة، وكتب ومراجع للإطلاع والبحث، وقاعات لإقامة المحاضرات والندوات الثقافية الموسيقية.

وتعد هذه المكتبات ركنا هاما وخطيرا من أركان الثقافة الموسيقية وتوجيهها توجيها رشيدا مبنيا على سياسة مدروسة تفى بحاجات الشباب الموسيقية.

فحبذا لو اهتمت - وزارة الثقافة - بالأخذ بهذه الفكرة - فكرة المكتبات الموسيقية - وتعميمها فى أقاليم مصر حتى نطبع شبابنا بطابع الموسيقى فيستفيدوا، ويفيدوا!..

تعمير صحراء سيناء

أثبتت البحوث القيمة التى قام بها مجلس الإنتاج القومى ووكالة هيئة الأمم التحدة لإغاثة اللاجئين أنه فى الإمكان توصيل مياه النيل إلى صحراء سيناء بتوسيع ترعة الإسماعيلية، وعمل أنفاق تحت قناة السويس، مع وضع طلبمات فى شرق القناة لرفع المياه إلى الصحراء، كما أثبت بحوث كل من المهندس المصرى عدلى عرابى.. والمهندس الأمريكى جون أديكسون أنه يمكن توصيل مياه النيل إلى سيناء بعمل ترعة عبر صحراء الصالحية تغذيها مياه المصارف التى تصب فى بحيرة المنزلة، وبحرا حادوس وبقر.. لذلك فإنى أقترح أن تقوم حكوماتنا الرشيدة – وهى العاملة على مصلحة الشعب ورفع مستواه.. بإقرار تنفيذ مشروع تعمير سيناء.. الذى سيكون له كبير الأثر فى مواجهة الزيادة المطردة فى السكان وذلك باتساع رقعة الأرض مع وجود مقومات الحياة بها.

❑❑❑

obeikandl.com

النائب العام .. محامى الشعب

فى سفره الذى حوى بين دفتيه روائعه عن «فن القضاء» تساءل القاضى الفرنسى «ج. رانسون» ماهو فن القضاء؟ وأجاب: هو مجموع القواعد التى تقوى الاستعداد الطبيعى عند القاضى وهو بصدد تطبيقه للقانون. فلا يعتذر بأنه قد خدع ولا يقصر فيما يمكن عمله لأنه - بهذه المثابة لم يؤد واجبه .. ويجب أن يكون رحيما مع المستضعفين.. قاهرا للمستكبرين، كما ذكر «فرجيل» وأن يكون على نزاهة تامة واستقلال مطلق وضبط نفس وذكاء وأن يكون متمكنا من العلوم القانونية قمين به كذلك أن يكون دائم النظر فى أحوال الناس.

ولقد صافحت الأعين الخبر الذى نشرته حميع الصحف السيارة أن النائب العام قد توجه باقتراح إلى المستشار ممدوح مرعى وزير العدل السابق لتعديل قانون العقوبات لحماية أرواح المصريين بالخارج وأن تختص السلطات المصرية بالجرائم التى تقع على كاهل المواطنين المصريين خارج البلاد إذ خلا قانون العقوبات المصرى وطبقا لما نصت عليه المادتان الثانية والثالثة منه - من هذا الأمر الحيوى.. وذلك احتراما لكرامة الإنسان المصرية، وسلامة جسده وممتلكاته ودرءا لأى اعتداء يتعرض له خارج الديار، ناهيك عن حماية المصالح الحيوية للدولة إذ أن الدستور المصرى قد قنن ذلك.

لا مشاحة أن النائب العام قد أضحى ـ بهذه المثابة ـ ضمير الشعب المصرى.

وإنى أقترح أن يطلق عليه (محام الناس).

❑❑❑

النفاق جرثومة الداء.. وسر البلاء.. وفساد العباد والبلاد؟!..

لا مشاحة أن المؤمن يحسن الحسن ويقويه.. أما المنافق فيقبح الحسن ويوهيه، والمنافق يُدخل فى كل حُب حبِ وفى كل رغبة طمع وفى كل خير شر لا ينتهى من نفاقه إلا ليبدأ ولا يبدأ حتى ينتهى، وهكذا دواليك – عود على بدء يغفو على نفاقه فهذا هو مبتغاه لا يعرف الصدق فقد شاقق الله ومن ثم عاداه، ولم يرتض عن فسقه بديلا، بمنهجه الذى تغياه يمسى ويصبح فى فرح، فارح بنفاقه، يظن أنه بالمداهنة أصبح فى عداد الفائزين السعداء لا يغلب عليه الملال، وهو فى حقيقته من التعساء الذين توعدهم الله بالعذاب الأليم مع غيره من الأشقياء الذين اتخذوا النفاق دينا لهم لا يبغون عنه عوجا أو سبيلا.

هو يخلع رداء النفاق تارة ثم يرتدى مسوحه طورا آخر متسربلا بالغش والخداع يقتل نفسه بنفاقه ويزرى عقله بكذبه ورياءه، فالمنافق دائما وأبدا يحترف الكذب لا يخاف ربه فقد ران الظلام عليه وسعى الفساد سعيا إليه، هو كالأرض النشاشة وهى السبخة التى يمتزج فيها الملح بالماء فيقتل الملح أرضها ويميتها ثم لا يحييها فهى غريزة النفاق التى تأصلت فيه تدور معه ويدور بها لا ينفك يتحول عنها فهو مقيد بأهوائه ونزعاته وكلمتا الفضيلة والاعتداد بالنفس معدومة فى لغة الأهواء والنزعات وطالما رضى عنه المنافقون ممن على شاكلته فيظل ركينا هادئا مشدودا بأعضاده فى طبقات الأرض ولا جَرَمَ أن يكون خسفا فى أديم الأرض، والمنافق يظهر غير ما يبطن ويبطن غير ما يظهر تحقيقا لمصلحته الذاتية فهو يعتنق الأباطيل ويطمح فى البراطيل عن طريق الزلفى والوشاية والغواية، والنفاق ظاهرة مَرَضية وهو إن كان دليل ضعف للمنافق فهو دليل قوة للذى ينافقه فأحيانا يكون على ذات دربه من النفاق، والكذب هو من خصال المنافق يقول الرسول الكريم عليه صوات الله وسلامه: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر»، كما يقول صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الله من الشرك الأصغر» قالوا: «وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال: النفاق فإنه يدب على القلب دبيب النمل»، وقد حرمت الأديان جميعها

النفاق ففى الديانتين المسيحية واليهودية ذكر العهد القديم كلمات لا تسرق ولا تكذب ولا تغدر بصاحبك .. وهاتيك هى علامات المنافق.

ظهر النفاق فى ضحى الدولة الإسلامية بعد أن أصبح الإسلام دولة وقوة، وجاء الإسلام ليقسم النفاق إلى نوعين (اعتقادى) وهو الذى يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر، و(عملى) وهو الذى يأتى أعمالا من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان فى القلب.

والنفاق فى اللغة العربية هو من النفق الذى تحفره بعض الحيوانات فى جحورها بغزيزتها دفاعا عن نفسها فتجعل فيه فتحتين أو أكثر فإذا هاجمها عدو من واحدة خرجت من الأخرى، وقد سمى المنافق منافقا لأنه يجعل لنفسه وجهين يظهر أحدهما ويخفى الآخر حسب الموقف الذى يجابهه.

وكما ألمعنا فإن المنافق لا مندوحة له من اقتراف الكذب ويذهب علماء النفس إلى أن الكذب أنواع: فمنه الكذب المثالى وكذب المبالغة والكذب المرضى، والكذب الانتقامى ناهيك عن الكذب الاجتماعى وهو شر أنواع الكذب لإسقاط اللوم على شخص يكرهه أو يغار منه وهو أشد أمراض الكذب على الصحة النفسية وعلى كيان المجتمع برمته، عرفه قدماء المصريين وعانت منه أكثر شعوب الأرض ومنها بداهة مصر التى انتشر فيها انتشار النار فى الهشيم،وكان سببا فى استبداد حكامها وتخلف شعبها ونهب أموالها وافتقار أهلها وقد أسهم المنافقون فى طغيان حكامهم حتى بلغ بهم الظلم مداه وجب ماسواه فقد أحس كل منهم بعد نفاق شعوبهم إليهم أنه الإله وباطل كل ما سواه.

انظر إلى «أبى نواس» وهو يمدح «الرشيد» قائلا: وأخفت أهل الشرك حتى إنه: لتخافك النُطف التى لم تُخلق؟.

وهاك آخر، وجه حديثه إلى الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر»: إنك لو أدركت نزول الوحى لأنزل الله فيك قرآنا؟!

ومن خلال هذه الظاهرة..ظاهرة النفاق التى تفشت بين البشر،حدد العلماء اليوم الرابع من فبراير (يوما عالميا للكذب)؟.

وتعريف النفاق كما جاء فى قاموس (المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية) المنافق هو: الذى يخفى الكفر ويظهر الإيمان، ويضمر العداوة، ويظهر الصداقة خلاف ما يبطن.

يجامل ويكثر من مجاملاته ليجلب محبة الناس وهو كالوسواس الخناس، مهما كرت السنون وتوالت الأيام لا يهدأ له بال من خلال حقده وحسده إلا ويتمنى لمن

يعرفــه أو يصادقــه أن تلم به ضائقة أو تتربص به المحن والإحن و يا ليتها تنتهى به إلى الموت الزؤام.

وقد هتك الله ســبحانه وتعالى أســتار المنافقين وكشف أسرارهم فى القرآن الكريم وجلَّى لعباده أنوارهم، وقد ورد ذكر المؤمنين فى كتاب الله فى أربع آيات، وفى الكفار آيتين وفى المنافقين ثلاث عشــرة آية لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم فكم من فضل للحق هدموه وكم من حصن له قد نزعوه من أساسه وخربوه.

يقــول الله تعــالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة التوبة – الآية٦٧ – ٦٨].

والمنافق دائما يغمط الحق ويلوذ بالباطل فالقيم «VALUES» والمعايير «Norms» غائبة عنــه بــل معدمة لديــه فهو يتكبكب دائما فــى نفاقه كأن النفاق هو الثــوب الذى يرتديه ويتسربل به تسربل الرهبان وهو كالأفعوان.

ويقــول «الإمام ابن القيم» عــن النفاق إنه الداء العضال الباطن الذى يكون الرجل ممتلئا منــه وهو لا يشــعر فإنه أمــر خفى على الناس وكثيرا ما يخفى علــى من يلبس به فيزعم أنه يصلح وهو فاســد، وهو نوعان أكبر وأصغر فالأكبر يوجب المكوث فى النار فى دركها الأسفل.

ويســتطرد «ابن القيم» واصفا المنافقين أنهم: «أحســن الناس أجســاما وأخلبهم لســانا وألطفهم بيانا وأخبثهم قلوبا وأضعفهم جنانا. فهم كالخشــب المســندة التى لا ثمر لها. قد قُلعت من مغارســها فتساندت إلى حائط يقيمها، لئلا يطأها السالكون ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة المنافقون – الآية ٤] فلا يزال الناس منهم فى محنة وبلية.

وقد ســجل التاريخ الأدبى وصفا لأعرابى أجاد وأفاد فى وصف المنافق فقال: «إن سأل ألحف، وإن ســئل ســوف، وإذا وعد أخلف، وإذا صنع أتلــف، وإذا هم بالفعل الجميل توقف، ينظر بنظر الحســود، ويعرض إعراض الحقود. فناؤه شاســع وضيفه جائع، وشره شــائع، وســره ذائع، ولونه فاقع وجفته دامع، وديارة بلاقع. ردئ المنظر، سئ المخبر. يبخل إذا أيســر، ويهلع إذا أعســر، ويكذب إذا أخبر. إن عاهد غدر. وإن خاصم فجر، وإن خوطب نفر».

ويوجـــه «صـــالح بن عبد القدوس» حديثه إلى المنافق: «قل للذى لســـت أدرى من تلونه أناصح أم على غش يداجينى إنى لأكثر مما سِمتنى عجبا يد تشج وأخرى منك تأسونى».

ويخاطبـــه «المنقـــب العبدى»: «فإما أن تكون أخى بحـــق فأعرف منك غثى من سمينى وإلا فاطرحنـــى واتخذنـــى عدواً.. أتقيك وتتقينى» تغتابنى عنـــد قوم وتمدحنى فى آخرين وكل منك يأتينى.

فى الأثر أن «شيرويه» أمر بنزع لسان منافق من قذاله «قفاه» جزاء نفاقه؟!

وأخيرا – وليس آخرا – يقول الأســـتاذ العقاد فى قصته ســـارة: «ذو الوجهين منافق، وذو الوجه الواحد ميت»!.

«فإن الإنســـان يعيبه أن يصنع له نفســـا غير نفســـه ووجها غير وجهه وأن يبدو للناس بوجهـــين يلعن أحدهما الآخر ويعلم هو أنهمـــا – كليهما – ملعون، ولا يعيبه أن يكون له مائـــة وجـــه ينم كل منها على سمة من سماته ومعنى من معانيه وذو الوجهين فى كل وجه من وجهيه كذب وطلاء».

وخير للمرء أن يموت وهو صاحب وجه واحد من أن يعيش بوجهين.

❑❑❑

obeikandl.com

أنيس منصور بين تفاحة الصحافة وجنة الأدب؟!..

يقول عميد الفلسفة العقلية (ابن رشد) فى كتابه «تهافت التهافت»: «إن قصد الفلاسفة إنما هو معرفة الحق، ولو لم يكن لهم إلا هذا القصد لكان ذلك كافيا فى مدحهم».

فرق «أفلاطون» بين الفضيلة العادية والفضيلة الفلسفية فالأولى تجئ عن التقليد فصاحب التقليد لا يعدو كونه مقلدا سلوكه للآخرين تماما مثل النمل والنحل فكل نملة تفعل فعلا كغيرها من النمل تسودها وتسيطر عليها، أما الفضيلة الفلسفية فتقوم على النقد وعلى الذاتية وعلى التفرد ومن ثم كما يقول الفيلسوف «عاطف العراقى» فلا يكون صاحبها مقلدا لسلوك غيره من أفراد البشر بل هو كالإنسان المتوحد الذى تحدث عنه أول فلاسفة المغرب العربى «ابن باجة».

ولقد ذهب «إخوان الصفا وخلان الوفا» فى القرن الرابع الهجرى إلى ضرورة الانفتاح على كل الأفكار والتيارات فى كل دول العالم شرقا وغربا، أو كما قال رسول الله – عليه الصلاة والسلام – «اطلبوا العلم ولو فى الصين».

وهكذا كان الأستاذ «أنيس منصور» رحمة الله عليه، فقد انفتح بعمق قراءته على جميع روافد المعرفة، وانفتحت له أبواب القراءة بمختلف صنوفها وعلى مصاريعها، هو من الرعيل الأول من جيل العمالقة (التى وضعت لهم الملائكة أجنحتها رضا لهم) لأنهم كانوا طلاب علم، والعلم هو العنصر الأول من عناصر الحياة فى نظر الإسلام، كان يجيل فى الليل البهيم خواطره فعكف على القراءات العلمية والأدبية ناهيك عن الفلسفية وهضم ما قرأه فبث أنهار الصحف السيارة ما جادت به قريحته، مع تدبيجه للكتب الرائعة التى بلغت زهاء المائتين كتاب. كان يقرأ أكثر مما يتنفس، وإذا كان عملاق الفكر الأستاذ الكبير «عباس محمود العقاد» قد قال: «إننى أقيس الإنسان بعدد الكتب التى قرأها» فقد قرأ الأستاذ «أنيس منصور» ما ينيف على السبعين ألف كتاب؟!

أى رجل كان هذا الرجل؟ وأى أديبٌ كان هذا الأديب؟.. كان أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، فكتاباته يشع منها نور العبقرية المتميزة المتفردة كما كان أستاذه العظيم «عباس محمود العقاد». عشق الصحافة، وأحب الأدب، وأولع بالفلسفة، وكنا ونحن فى ميعة

الصبا وشرخ الشباب نقرأ ما يكتبه سواء فى «الأخبار» فى عموده اليومى أو فى مجلة «الجيل الجديد» الذى ترأس تحريرها وأحيانا فى مجلة «آخر ساعة» التى أختصها بسلسلة مقالاته التى عنونها بإسم « طلع البدر علينا» عقب قيامه بالحج إلى بيت الله العتيق فمحا بذلك فترة إيمانه بالوجودية وما كتبه «ألبير كامى» و«جان بول سارتر» ورفيقته «سيمون دى بوفوار»، ألتقيته فى أوائل الستينيات بمكتبه بجريدة «الأخبار» مع رهط من محبيه ومحبى الأدب جلسنا إليه، وجلس إلينا زهاء الثلاث ساعات نتجاذب معه أطراف الحديث فما أحسسنا بعد انصرافنا من لقياه إلا أنها كانت دقائق معدودات. والتقيته مرة أخرى مع المرحوم والدى الذى كان قد كتب مقالا عن سعد زغلول وثورة ١٩١٩ بعد أن ضرب لنا موعدا محددا للقياه فإذا به بعد لقيانا يعتذر لوالدى اعتذارا كريما بأن (الأوامر) قد صدرت إليه بعدم نشر أى تعليق على «هذا الموضوع» الذى دعا الأستاذ «أنيس منصور» الكافة إلى الكتابة فيه على نحو ما ألمعنا إليه سالفا، وكان هذا إثر حملة ظالمة ضارية وجهت إلى حزب الوفد وزعيمه وما أكثر هذه الحملات التى تشن على الوفد وتاريخه فى تلك الحقبة من الزمن، وأدلى فيه بدلوه المرحومان «الدكتور محمد أنيس» و الدكتور «ضياء الدين الريس» أستاذا التاريخ بالجامعة. والذى لفت نظرى آنذاك – أن (الحياء) قد غلف وجه الأستاذ «أنيس منصور» وهو يحادث والدى رحمة الله عليه – وقد تشابكت يداه وانحنى انحناءه ظاهرة تدل على جم أدبه وجمال تواضعه.

ولقد تفرد الأستاذ «أنيس منصور بكتابين بلغا من الذيوع والانتشار ما بلغاه كلاهما، أولهما «٢٠٠ يوم حول العالم» الذى سجل اسمه به بين الرحالة العرب بل الرحالة العظام مثل «ابن جبير»، و«المسعودى» و«أبو الريحان البيرونى» أصحاب القدح المعلى فى هذا المضمار – هم وآخرون، الذين أتت إلينا كتبهم تذخر بما ذخرت به من ذكر أحوال الأمم. ووصف معايشها وطبائعها وعاداتها، وكما فعل ابن بطوطة فى رحلته الشهيرة «تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» مدونا ما شاهده من أخبار الشعوب التى زاروها، وهكذا دبجت يراعة الأستاذ «أنيس منصور» – كذلك – فى تواليفه العديدة مثل: «بلاد الله خلق الله»، و«غريب فى بلاد غريبة»، و«اليمن ذاك المجهول» وغيرها وغيرها، فقد ولج فى هذا الرافد الأدبى ولوجا يؤكد جرأته وعميق ثقافته.. وأريحيته وشغفه باقتحام المجهول وارتياد أماكن بعيدة نائية فى الزمان وفى المكان لم يكن أحد قد ارتادها من قبل.

أما سفره الفخم الضخم «الغير مسبوق» (فى صالون العقاد كانت لنا أيام) فقد جاء عملا لم يسبق له نظير فى «سسيولوجيا» الأدب العربى كما عبر الأستاذ «أحمد بهاء الدين» والذى كان يدأب على نشر فصول منه فى مجلة «أكتوبر» ودل هذا الكتاب على عبقرية أنيس منصور وعبقرية العقاد (معا)، مما دفع الرئيس الشهيد «أنور السادات» عقب قراءته لها إلى أن يعبر له عن إعجابه بها: «يا أخى لقد قتلنا ما كتبته عن العقاد». ومن العجيب أن الرئيس الراحل قد قتل – غيلة وغدرا – ظهر اليوم التالى لتعليقه ذاك؟!.

ولا عجب – فأنيس – هو القائل «اقرأ.. ثم اقرأ.. ثم اقرأ.. ثم اكتب» وأليس هو صاحب كتاب «وأنا اخترتُ القراءة».. القراءة التى أوصلته بإمعان نظره وإنعام فكره إلى ما وصل إليه من رفعة ومن مجد، وتأمل معى أيها – القارئ العزيز – ما ختم به حياته بعبارته التى لهج بها لسانه: «إذا كنت مع الله فأنت مع الأغلبية المطلقة».

ثمة عبارة تقول: «من أكل تفاحة الصحافة، خرج من جنة الأدب».

ولقد أكل الأستاذ الكبير «أنيس محمد منصور» تفاحة الصحافة (بتمامها).. ولكنه لم يخرج من جنة الأدب؟!.

رحمه الله رحمة واسعة، جزاء ما أثرى به حياتنا إبان حياته، وبعد مماته.

❑❑❑